8me Année No. 370

Lundi - 5 - 8 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٣٧٠ « القاهرة في يوم الاثنين أول رجب سنة ١٣٥٩ — الموافق ٥ أغسطس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهــــــرس

صفحة		
١٢٤٥	نهـاية أديب	أحمد حسن الزيات ... ...
١٢٤٧	الحديث ذو شجون ...	الدكتور زكي مبارك ... ...
١٢٥٠	تطور اللغة وارتقاؤها ...	الدكتور علي عبد الواحد وافي
١٢٥٢	الحضارة المتبرجة	الأستاذ محمود محمد شاكر
١٢٥٥	محـل الحضارة العربية ...	الدكتور جواد علي ... ...
١٢٥٧	من عجائب الفهم	الأستاذ زكي طليمات ... ...
١٢٦٠	الحرب في أسـبوع ...	الأستاذ فوزي الشتوي ...
١٢٦٣	يا مصر . . . يا أنشودة الدنيا! [قصيدة]	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
١٢٦٤	هذا العالم المجنون «	الأستاذ يوسف أسـعد ...
	البلبـــل «	الأستاذ حسن كامل الصيرفي
١٢٦٥	متفرقات	الأستاذ عزيز أحمد فهمي ...
١٢٦٨	جابر بن حيان	الأستاذ أحمد زكي صالح ...
١٢٧١	(١) اقتطف ! ... ... (٢) باريس !	الأستاذ محمود محمد شاكر
١٢٧١	ملاحظات علميـة	الأستاذ علي الطنطاوي ...
١٢٧٢	رأي الأستاذ أحمد أمين في واضـع علم النحو ...	« عالم » ... ...
١٢٧٢	قصتان والفكرة واحدة	الأستاذ محمـد سعيد العريان
١٢٧٣	من الشعر المنسي لحـافظ	الأديب أحمـد جمعة الشرباصي
١٢٧٣	الدكتور اسماعيل أحمد أدهم	الأستاذ عبـد الحفيظ نصار
١٢٧٤	رجلان وامرأتان [قصـة]	الأستاذ محمـد سعيد العريان

نهـــاية أديب . . .

في الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر يولية ، لفظ البحر على ساحل « جليم » بالإسكندرية جثة كانت في رونق العمر وإن بدا على محاسرها مسحةٌ من شفوف الهم وشحوب الألم . لم يكد يلقيها الموج الصاخب المتعاقب بالرمل المستوى المنضوح حتى أخذتها عيون الحرس الساحلي ، فظنوها لأول وهلة ضحية من ضحايا الحرب الإنجليزية الإيطالية في هذا البحر المسجور بالعذاب والموت ؛ ولكنهم علموا من بذلة الغريق ومعطفه وسلامة بدنه أنه مدني سقط في البحر أو ألقى فيه. فلما فتشه رجال الشرطة ليكشفوا عن هويته عثروا في جيب معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يقول فيه :

« إنه قتل نفسه بالغرق يأساً من الدنيا وزهادة في العيش ، ويوصى بأن يحرق جسده ويشرّح رأسه »

إذن هو رجل من رجال الفكر والرأي ، جعل للحياة مثلاً لم يحققه فهو يجتويها ، ورأى في العقيدة رأياً لم يرقه فهو لا يرتضيها ، واعتقد أن في مخه عبقرية فهو يرجو أن يظهر بالتشريح خافيها .

فهل تدرى من هو ؟

هو الدكتور « إسماعيل أحمد أدهم » عضو أكاديمية العلوم

الروسية ، ووكيل المعهد الروسي للدراسات الإسلامية ، كما كان يخبر عن نفسه ؛ وهو صاحب المقالات العلمية والنقدية في الرسالة والمقتطف، ومنشط الحركة الأدبية في الإسكندرية وجمعية الثقافة. نجله أبوان مختلفان : تركي وروسية ، ثم غُذى في يفاعته بثقافة البحر الأسود ، فتأثر بنفسية الترك الجمهورية ، وعقلية الروس الشيوعية . وتزوج أبوه مرة أخرى من مصرية فعاش معه في الإسكندرية حيناً من الدهر تعلم فيه العربية. ثم ترك له بعد موته بيتاً صغيراً كان يعيش على أجرته هو وأخته عيش الكفاف الضيّق . واعتراه داء السل فكان يراوغه بالسكنى في جفاف (أبو قير) ، ولكنه كان مضطراً إلى أن يشق طريقه في زحمة الحياة بسن القلم : فكتب وألف وحاضر وناظر ، حتى كان له في كل كتاب رأى ، وعلى كل مسألة اعتراض ، ومع كل كاتب موقف . وأعانه على هذا الجهد العظيم قريحةٌ طيعة وبصيرة ناقدة وعزيمة نافذة وطبع حمول ؛ ومع ذلك ظل في عزلة عن القلوب المؤاسية أو المشجعة من جمهرة القراء وقادة الأدب ، لأن نشأته اللادينية ، ونزعته العلمية ، وطبعه الجريء الحر ، وأسلوبه الجاف القلق ، كانت تجعل لسطوره ظلالاً من الإلحاد والمادية والنشازة تبغّضها إلى صاحب الدين وصاحب الفن . ثم وصل أسبابه ببعض ذوى القلم النابه فاستخدموه فيما لا يكسبه المودة والعطف . وجابه قوماً من المتصوفة وطلاب العلم بوقاح الرأى في الدين فآذوه في بدنه وسمعته . ووجد رضى نفسه وراحة عقله في تسليط الطبيعة على العقيدة وتحكيم الفلسفة في الشعور ، فساءت ظنون الناس فيه ، وأرهفت الألسن عليه ، حتى عجز أن يعيش على ثمرات فكره

وكان المرحوم إسماعيل أدهم عفيف النفس يقتنع بميسور الرزق ، ويتكرم عن طلب المعونة ولو كانت جزاء على عمله . وكان مرضه الدخيل الزمن يقتضى وفرة الغذاء وجودة الهواء وراحة الجسد ، ولكنه كان لا يجد الكفاف لضيق مضطربه ، ولا ينال الدعة والجمام لقوة عزمه ؛ فتظاهر عليه الداء والشقاء والإباء واليأس من روْح الله حتى زلزلت هذه المحن في نفسه الثقة ، وأذهبت عن قلبه السكينة

ونُكبت الإسكندرية الجميلة بالغارات الجوية الإيطالية ، فجلا أكثر الساكنين عن الثغر المروَّع ، فأقفرت المنازل حتى منزل أدهم وهو مرتزقه الوحيد ، فلم يكن بد من هذه النهاية المحزنة التي انتهى إليها هذا الأديب البائس

* * *

كان الدكتور أدهم - غفر الله له - شديد الذكاء أصيل العقل رياضي الفكر واسع الثقافة لا يؤمن إلا بالعلم والمنطق . وقد أضاف إلى ثروة الأدب العربي الحديث جهداً مهما اختلفت الآراء فيه فإن له قيمته . وكان من الممكن أن يعيش في ظلال أدبه رخى البال مكفول الرزق لو أنه وصل ما بينه وبين الله . ولكنه خضع لسلطان طبيعته ونشأته فعالج الموضوعات الإسلامية معالجة الملحد الخالص الذي يجد سعادته في الكفر ورسالته في التكفير . ولو أنه خادع الناس عن عقيدته كما يفعل بعض الأكياس من الأدباء ، لأدرك السلام في الأرض وإن لم يدركه في السماء ؛ ولكنه كان أشبه بشهداء الكفر الذين يجدون اللذة في الألم ، ويتمنون الخلاص في الموت !

* * *

رحم الله الدكتور أدهم ! حسب أن أرقام العلم وأقيسة المنطق هي كل شيء في تقدير المعلوم واكتناه المجهول ، فاعتمد في أدبه على العقل القميد الذي يرى ولا يطير ، واتكأ في فلسفته على الفرض البعيد الذي يطير ولا يرى، وتحامل في مُعتقده على الضمير البليد الذي خبا وجُحِّه بين فتور الخيال وخمود العاطفة . ثم غره أن معارضة الدين سبيل من سبل الشهرة فأوغل فيها بعنف حتى انقطع في صحراء الحياة عن الله والناس ! فهو لا يملك النور الذي يضىء ظلمة القلب، ولا الرجاء الذي يخفف وطأة الكرب، ولا الحب الذي يؤنس وحشة الطريق . وحكم القدر على السائر في الظلام والوحدة أن يتزلق من صخرة الحرمان إلى لجة العدم ؛ وهناك لا يدركه إلا رحمة الله التي وسعت كل شيء وشملت كل شخص!

إن الأدب الملحد قد يعيش في الغرب لأن الظلام يمده الظلام ، ولكنه لا يستطيع أن يعيش في الشرق لأن الظلام ينسخه النور !

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

موجة صوفية تثيرها رحلة الموسيقار محمد عبد الوهاب إلى سنتريس — بين القناطر الخيرية وسدة المندية — خطاب ضائع — ثمرة شهية من ثمار المطابع

موجة صوفية

في عصرية الاثنين « ٢٢ / ٧ / ١٩٤٠ » توجَّه جماعة من الأصفياء إلى سنتريس ، وفيهم المسيو دي كومنين والمسيو جوزيه كانيري والدكتور ابراهاميان والمسيو بوندربني والموسيقار محمد عبد الوهاب وسِربٌ من كرائم الفرنسيات

ولم تكن تلك القافلة تحتاج إلى دليل (١) فقد شرُفتْ سنتريس بزيارتها مرات كثيرة ، ولا سيما مدام دي كومنين التي تأنس كل الأنس بزيارة سنتريس ، والتي تعدُّ زيارتها الداري من مواسم الفرح عند أبنائي

إنما يحتاج إلى الدليل ذلك الموسيقارُ السابح في لُجَج الأحلام محمد عبد الوهاب ، وكذلك أُتيحت الفرصة لأن يترفق فيدعوني لمرافقته في طريقنا إلى سنتريس

وماذا أستفيد من مرافقة عبد الوهاب ؟

وهل يُفيق هذا الحالم حتى يعرف رفيقه في الطريق ؟

ابتدأ صاحياً في المرحلة الأولى ، فسأل عن منازل الكتّاب المصريين وعن مبلغ تأثيرهم في مصر والشرق ، وما كدنا ننتهي من الكلام عن طه حسين والزيات والعقاد وتوفيق الحكيم حتى أسلم خياله لأحلام أوابد لا يقتنصها غير القلب الذي راضه الحب على التمرُّس بملاحقة أبكار المعاني . ومحمد عبد الوهاب قنّاص أحلام وألباب ، وإن كان أرقَّ من الزهر المطلول

ونظرتُ إليه في غيبوبته الروحية فرأيته يُغمغم بأجراس صوتية لا تُبين عن لفظ مُميَّز أو غرض محدود

وفي لمحة من لمحات الوجد تمثّلتْ لي شفتان ورديتان لو سبَّح لله بهما مسبِّحٌ لكان فيهما غَناء عن تسبيح كل ما حوى الملكوت من أرواح وأشباح

أيصير عبد الوهاب إلى مثل هذا الحُسن الفاتن كما نقله الخيال إلى عالم الروح ؟

ثم انتبه بغتة ، وقد وخزتْه نظراتي فقال : أتزور سنتريس في كل أسبوع ؟

فقلت : وما الذي يهمك من ذلك ؟

فأجاب : إن هذا إن صح قد يفسِّر نزعتك الصوفية ، فما شعرتُ بمثل هذه الأقباس الروحية إلا في هذا الطريق الذي يصل بالأفئدة إلى سنتريس

وما كاد يُتمّ هذه الجملة حتى هوى إلى الغيبوبة من جديد ، وحتى عُدتُ إلى التأمل في أسارير ذلك الوجه الذي خلق ليكون مَصدرَ هداية ومبعثَ فُتُون

وبعد لحظات كانت أقصر من ومضة القلب بالتشوف إلى موعد غرام وصلنا إلى القناطر الخيرية ، ثم وقفنا عند قنطرة الرَّيَّاح المنوفي لننتظر سيارات الأصفياء قبل أن نُنفذ السير إلى سنتريس .

وهنالك وجدنا على غير موعد جماعة من الشبان الفنانين يترنمون بأغاريد عبد الوهاب ، وهم ينتظرون وفود القمر لمصافحة النيل ؟

ثم وصل الأصدقاء الفرنسيون فطربوا لذلك المنظر الجذاب ، وسرّهم أن يكون في مصر فنّان يرى طلائع فنه في مكان يتوجه إليه على غير ميعاد

ودخلنا سنتريس والشمس تجنح للغروب والناس يرجعون إلى دورهم وفي أيديهم مقاود المال الناطق ، وتلك طلائع نعيم تكون أوفر ما تكون في سنتريس : فأخصبُ أقاليم مصر هو إقليم المنوفية ، وأخصب مراكز المنوفية هو مركز أشمون ، وأخصب البلاد في مركز أشمون هو سنتريس ، وأخصب بقاع سنتريس هو ما ورثته عن أبي وجدي ، وأجمل دار في سنتريس هي دار شاعر سنتريس

فإن ضاق بعض الناس صدراً بهذا الازدهاء ، فليذكر أني تحدثت عن الريف وجمال الريف قبل أن تُخلَق وزارة الشؤون الاجتماعية بأعوام طوال . يضاف إلى ذلك أن بلدي أجمل البلاد حقّاً وصدقاً ، وهو الشاهد على أن مصر موطن الخيرات والثمرات ومهد الأفئدة والعقول . ولو قلت : إن بلدي يفوق جميع البلاد

(١) لم يصب أبو علي القالي في تخصيص « القافلة » بالراجعة من سفر . وأكثر اللغويين على أن القافلة هي الرفقة ، ويقال للمبتدئة بالسفر قافلة تفاؤلا لها بالرجوع

من الوجهة العلمية لكنت أصدق الصادقين

ثم جلسنا نتجاذب أطراف الأحاديث مع الأهل والأصدقاء ، وقد ذاع في أرجاء البلد أن عبد الوهاب حضر ومعه عوده الحنّان فأقبلوا يتسابقون لتزويد أفئدتهم بأطايب البوا كير من أغاريد الخلود

ثم وقع ما لم يكن في الحسبان : فقد قيل إن في سنتريس مغنين يغنّون أصوات عبد الوهاب بأطيب وأوقع مما يغنيها عبد الوهاب

وتنادى أولئك المغنّون ليُباروا مطرب الأمراء والملوك ، وليروضوه على الاقتناع بأن التواضع خُلُقٌ جميل ، فانسحب من الميدان قبل انتهاء السهرة ليرجع إلى القاهرة بحجة أن عنده موعداً في منتصف الليل !

وعند باب الحديقة سأل عبد الوهاب عن العود ليكون رفيقه في الإياب ، ثم سارت به السيارة وهو يترنم بقول أحد الشعراء :

تنظُر الساعة من حين لحين ليت شعري ما الذي يستعجلُكْ
إن هذا الوصل أحلامُ سنين فاتق الحب ودَع ما يَشغَلُكْ

وانصرف جمهور المعجبين بالموسيقار عبد الوهاب وبقيتُ مع الضيوف الأعزاء نتحدث عن الآداب والفنون ، ونسمع مداعبات من كان في السهرة من الجنّيات

ومضينا نواجه النيل وقد طلع القمر وطاب النسيم فرأينا طوائف من أدباء سنتريس يَسمُرون هناك كما كنت أسمُر مع أصفيائي قبل أن يصنع الدهر بقلبي ما صنع، وقبل أن أُحرَم من قضاء ليالي الصيف في سنتريس ، فما ذقت طعماً للحياة الهادئة منذ قضت الأيام بألا أزور سنتريس إلا كما يزور طيف الخيال

ثم هتف هاتفٌ بأن الليل قد انتصف وآن أوان الرحيل عن سنتريس

وفي القناطر الخيرية وقفنا مرة ثانية نشهد صراع الأمواج في قنطرة الرّياح المنوفي ، فأخذتُ المسيو كارى من يده ، واقتربت به من معركة تلك الأمواج

ثم وَثب القلب وهو يسأل : أين الموعد ، موعد فلانة ، الموعد الذي عقدته فوق « سدّة المندية » منذ أكثر من عامين ؟

فأجبتُ : تلك يا قلبي مواعيد البنان المخضوب !

وتلفتُّ إلى المسيو كارى وأنا أقول : ألا يكون النوم في ضيافة هذه الأمواج الصواخب أطيب من النوم في الغُرف المغلقة النوافذ ؟

فأجاب : ذلك نعيمٌ خاصٌ بأهل الشرق

فقلت : ومن أجل هذا النعيم يوصي بعض الفلاسفة بأن تكون مدافنهم في ثنايا الأمواج

ثم رجعنا إلى القاهرة لنأنس بالعيش الرّتيب من جديد

فإن سألتموني : أين كنا ؟

فأنا أجيب : كنا في رحلة صوفية ، وكان معنا عقل دي كومنين وبلاغة كارى وعُذوبة عبد الوهاب ، وكانت معنا أشياء ، فلا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تزدكم أسفاً على الحرمان من أطايب الوجود ... وهل كانت تلك الأشياء إلا القلوب الأواهل بأرواح الصفاء ؟

خطاب ضائع

كان صديقنا الأستاذ صادق عنبر — طيب الله ثراه ! — قد نشر في مجلة « النهضة النسائية » سنة ١٩٢٧ خطابات غرامية قال إنه وجدها مُلقاة في الطريق ، وصحّ عندي يومئذ أنه ابتدع تلك الخطابات ، فكتبتُ إليه من باريس أهنئه على ذلك البدع الطريف ، فأجاب بأنه لم يبتدع تلك الخطابات ، وإنما وجدها مصادفةً في شارع الدواوين وهو ذاهب إلى جريدة الأهرام ، ولم أصدّقه فيما ادعاه فتعقبتُه في جريدة البلاغ بمقال لاذع بدّد ما كان بيني وبينه من وداد

ثم تشاء الأقدار أن تصحح رأيي في ذلك الصديق المظلوم فقد وجدت أنا أيضاً خطاباً ضائعاً ، وجدته في شارع فؤاد وأنا ذاهب للسّمَر مع الأستاذ « وحيد بك الأيوبي » في قهوة السلام بميدان إبراهيم ، وأطلعتُ عليه جماعة من الفضلاء الذين صادفتهم هناك

وإلى القارئ فقرات من ذلك الخطاب الضائع ، ستر الله كاتبه وهداه ! :

« تماتبين ؟ تماتبين ؟ وما الموجب للعتاب وقد صدَّ قلبٌ عن قلب ، وزهد روح في روح ؟ !

ومن تماتبين ، يا شقية ، وقد انتهى عهد العتاب ، ولم يبق من الذكريات غير أطلال ؟

لا أراك الآن إلا حجراً أصم أبكم ، لا يسمع ولا يتكلم ، وإن كنتِ تحسنين زُخرفَ القول حين تكتبين إليّ من حين إلى حين ...

وتقترحين أن أزورك في مدينة ... فهل تظنين أني أطرب لزيارة مدائن الأموات ؟

تلك غمرة من غمرات الكرب عانيتها حين توهمتك إنسانة لها وعي وإحساس ، ثم لطف الله فأفقت ، وما كنت أحسبني أفيق

كان غرامي نزوة من نزوات الطيش ، وقد عقلت ، والحمد لله على نعمة العقل !

أمثلكِ يُزارُ بوحي من القلب ، وأنتِ رسمٌ من الرسوم الهوامد ، وقد انتهى عهد البكاء على الرسوم والطلول ؟

ما أبكي عليك ، يا شقية ، وإنما أبكي على النعيم الذي ذهب منذ اليوم الذي أزاحت فيه الغشاوة عن قلبي

كنت توهمت أني عشقت ، وكانت الدنيا لا تسمى كلا خطر في البال أني أملك قلب امرأة لها في دولة الحسن تاريخ

ثم انجابت ظلمات الغواية فرأيتك مخلوقة من خزف ، مخلوقة غبية بليدة حرمتها الأقدار نعمة الفهم لسرائر الأرواح والقلوب

خرجتُ من هواكِ كما دخلتُ ، فما أمدّني هواكِ بقصيدة رشيقة ولا مقال بليغ . والأديب لا يعشق ليقال إنه عشق ، وإنما يعشق الأديب ليطلع على الآفاق المجهولة من ضمائر الوجود .

وأنت أنت ، أنت الأنثى الغبية البليدة التي لا ينتفع الأديب من صحبتها بشيء ، إلا أن يصير اسمه إعلاناً عن جمالها المظنون ، وأنت والله جميلة ، ولكن جمالك لا يزيد عن جمال التماثيل !

إنما أبكي على نفسي ، فقد كنت أحسبني أهلاً لغرام أقوى وأعنف من الغرام الذي عانيت ، ثم عرفت مع الأسف الموجع أنني شغلت قلبي بإنسانة ضعيفة لا تقدر على نقل القلب من مكان إلى مكان . فمتى تزحزح من مكانك يا قلبي؟ ومتى تعرف أن الهدى ليس أكرم عنصراً من الضلال ؟

لا تكتبي إليّ بعد اليوم ، يا شقية ، فقلبك أصغر من قلبي ، ولم تكوني إلا طفلة نضجت قبل الأوان فتوهمتْ أنها قادرة على مساورة الرجال »

تلك فقرات من ذلك الخطاب الضائع ، الخطاب الذي وجدته في شارع فؤاد

فهل رأيتم أسخف من كاتب هذا الخطاب ؟

الدنيا في حرب وشقاء وبلاء ، فكيف يجوز أن يكون فيها من يعشق ويلتاع ؟

وفي قهوة باليرا بمصر الجديدة صادفت الدكتور مشرَّفة بك عميد كلية العلوم فعرضت عليه هذا الخطاب على أنه نموذج من السفاهة والحُمق فابتسم ، وقال : العواطف من القُوى الأساسية في حياة الإنسان ، ولا بُدَّ لتلك القوى من غذاء . واستطرد فحدثني أنه طرب حين رجع إلى معاهد الطفولة بدمياط ، يوم كان يتقرب إلى الله بتقبيل ضريح الشيخ مظلوم !

العواطف تحتاج إلى غذاء كما تحتاج العقول ؟

هذه فلسفة لم أسمع بها من قبل

فإن صحت هذه الفلسفة فهي سِنادٌ لكاتب الخطاب الضائع ، الخطاب الذي وجدته في شارع فؤاد

الدنيا في حرب ، فلا تصدِّقوا الدكتور مشرَّفة ، وإن كان عميد كلية العلوم ، واقضوا أوقاتكم كلها في متابعة أخبار الحرب بين الإنجليز والألمان ، فأخبار الحرب هي زاد العواطف والعقول في هذه الأيام العِجاف !

ثمرة شهية من ثمار المطابع

اليوم عرفت أن الأستاذ محمود بك تيمور وأخاه المرحوم محمد بك تيمور ورثا فنّ القَصَص عن أبيهما العظيم أحمد باشا تيمور

أقول هذا وقد فرغت من قراءة كتاب نفيس اسمه « أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر » تحدث فيه تيمور باشا عن جماعة من الشعراء والعلماء والأعيان بأسلوب هو القَصَص الحق ، أو هو أحسنُ القَصَص ، إذا صح الاستئناس بعبارة القرآن المجيد

كتابٌ كله أقاصيص ، ولكنه حقائق ، وله جاذبية تجعله فوق القَصَص المعطَّر بأنفاس الخيال

في الاجتماع اللغوي

تطور اللغـــة وارتقاؤها

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

انتقال اللغة من السلف إلى الخلف : التطور الجبرى ؛ مظاهره فى لغة الحديث ولغة الكتابة

تتأثر اللغة فى تطورها وارتقائها بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى أربع طوائف :

(إحداها) انتقال اللغة من السلف إلى الخلف

(وثانيتها) تأثر اللغة بلغة أخرى

(وثالثتها) عوامل اجتماعيـة ونفسية وطبيعية ، كحضارة الأمة ونظمها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها ، وثقافتها واتجاهاتها الفكرية ، ومناحى وجدانها ونزوعها ، وبيئتها الجغرافية .. وما إلى ذلك[1]

(١) تشترك هذه العوامل جميعا فى أنها من مقومات الحياة الاجتماعية ، ولذلك جعلناها طائفة واحدة على الرغم من اختلافها فى نوعها .

(ورابعتها) عوامل أدبية ، تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة ، وما تبذله معاهد التعليم والمجامع اللغوية وما إليها فى سبيل حمايتها والارتقاء بها[1]

وسنعالج بإجمال فى هـذه الكلمة الطائفة الأولى من هذه العوامل ، مرجئين الكلام عن العوامل الأخرى إلى المقالات التالية

* * *

على الرغم من أن الطفل يأخذ اللغة عن أبويه والمحيطين به ، فإن لغة الخلف فى كل أمة تختلف عن لغة السلف فى كثير من المظاهر ، وبخاصة مظاهر الصوت

ويرجع جزء يسير من نواحى هذا الاختلاف إلى أمور خاصة مقصورة على بعض الأفراد كالعيوب الصوتية التى يصاب بها بعض الناس ، وضعف السمع ، واختلال أعضاء النطق ... وما إلى ذلك ؛ وليس لمثل هذه الأمور شأن كبير فى تطور اللغة ؛ لأن آثارها مقصورة على أصحابها ، تبقى معهم وحدهم فى حياتهم وتختفى بموتهم

(١) ترجع فى الواقع هـذه الطائفة من العوامل إلى الطائفة الثالثة ، لأن آداب الأمة ليست إلا مظهراً من مظاهر حياتها الاجتماعية . ولكننا آثرنا فصل الطائفتين لاختلاف آثار كل منهما بهذا الصدد عن آثار الأخرى

فى هـذا الـكتاب أربع وعشرون ترجمة لبست جميعاً ثوب الصدق فى حدود ما وصل إلى المؤلف من أخبار مَن ترجم لهم . ومن المؤكد أن هذا الـكتاب يسدّ فراغاً فى تصوير بعض معالم العهد الذى عاش فيـه المؤلف ، ففيه أخبار سياسية وأدبية واجتماعية لم يتحدث عنها أحد من قبل بهذه الدقة وبهذا التفصيل

ونحن نأسف على أن لم يُكتَب لتيمور باشا أن يقف جهوده على هذا اللون من التاريخ ، فلو أن الله كان وفقه إلى ذلك لأتى بالأعاجيب فى تسجيل الحوادث وترجمة الرجال

وقد التزم تيمور باشا فى هذا الـكتاب التواريخ الهجرية أو كاد، والتزم العبارات القديمة فى وصف بعض الأشياء ، فالمِزبة هى الضَّيمة ، والجنيه هو الدينار ، ودخول الإنجليز مدينة القاهرة كان يوم الخميس مستهلّ ذى القِعدة سنة ١٢٩٩ . وتلك من لوازم تيمور باشا الذى كان يريد أن يجعلنا عرباً ومسلمين فى جميع الشؤون ، أحسن الله إليه بقدر ما أحسن إلى العروبة والإسلام !

وتيمور باشا فى كتابه يجسّم الحسنات ويتغافل عن السيئات. وإذا قهره التاريخ على تسجيل سيئة أحاطها بعبارة من عبارات التشكيك ، أو اعتذر عنها بلطف ورفق ، حتى ليمكن الحكم بأن الرجل أراد أن يكون كتابه من كتب الأخلاق الصّحاح . وكيف لا يكون مراده كذلك وقد شهد عارفوه وشهدت آثاره بأنه كان من أرباب القلوب

ولا تجد فى هذا الكتاب عبارة تشير إلى أن تيمور باشا كان يرتب ويصنف ويؤلف ، فهى أحاديث أخذ بعضها برقاب بعض فى يسر وسهولة واتساق ، وذلك شاهد القدرة على التعبير الخالى من التكلف والافتعال

وقد أكثر تيمور باشا من الترحم على من ترجم لهم ، فعليه رحمة الله ، وعلى المراوى رحمة الله، وعلى عبد المطلب رحمة الله ، فقد كانا يريانه إماماً فى الأدب واللغة والتاريخ ، ولهما فى البكاء عليه قصائد جياد

زكى مبارك

أما معظم نواحي هذا الاختلاف وأكبرها أثراً في تطور اللغة فترجع إلى أمور عامة يشترك فيها جميع أفراد الطبقة الواحدة ويمتازون بها عن أفراد الطبقة السابقة لهم، كالارتقاء الطبيعي لأعضاء النطق في الفصيلة الإنسانية (لأن أعضاء النطق في تطور طبيعي مطرد، فتختلف في كل طبقة عنها في الطبقة السابقة لها) والارتقاء الطبيعي للظواهر النفسية (فالقوى العقلية يختلف أنواعها في تطور طبيعي مطرد، شأنها في ذلك شأن أعضاء النطق. ومن الواضح أن كل تطور يحدث في هذه القوى ينبعث صداه في اللغة) والأخطاء التي تنتشر بين الصغار في طبقة ما ولا يفطن لها الكبار لدقتها وخفائها أو يهملون إصلاحها ولا يعنون بالقضاء عليها. فالفروق اللغوية الناشئة عن هذه الطائفة من العوامل يشترك فيها جميع أفراد الطبقة الواحدة وتمتاز بها لغتهم عن لغة الطبقة السابقة لهم

ومن هذا يظهر أن ناحية هامة من نواحي التطور اللغوي ترجع إلى عوامل جبرية لا اختيار للانسان فيها، ولا يد له على وقف آثارها أو تغيير ما تؤدي إليه

ومن هذا يظهر كذلك أنه ليس في قدرة الأفراد أن يقفوا تطور لغة، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص. فمهما أجادوا في وضع معجماتها وتحديد ألفاظها ومدلولاتها، وضبط قواعدها وأصواتها ... ، ومهما أجهدوا أنفسهم في إتقان تعليمها للأطفال قراءة وكتابة ونطقاً وفي وضع طرق ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون بهذا الصدد، ومهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال، وتفلت من هذه القيود، وتسير في السبيل الذي تريدها على السير فيه سنن التطور والارتقاء الطبيعيين

حقاً إنه يمكن أحياناً التحكم في لغة الكتابة والجمود بها زمناً طويلاً على أصولها القديمة أو ما يقرب منها؛ ولكن لغة الكتابة التي تجمد بهذا الشكل لا تمثل تمثيلاً صحيحاً حالة الحياة اللغوية في الأمة، وتتسع كثيراً مسافة الخلف بينها وبين لغة المحادثة، لأن هذه اللغة الأخيرة في تطور مطرد، ولا تستطيع أية قوة إلى تعويق تطورها سبيلاً. فلا تنفك تبعد عن لغة الكتابة الجامدة، حتى تصبح كل منهما غريبة عن الأخرى، ويصبح تعليم لغة الكتابة في الأمة أشبه شيء بتعليم لغة أجنبية. وهذا هو ما كان عليه الحال بفرنسا وإيطاليا ورومانيا وإسبانيا والبرتغال أيام أن كانت لغة الكتابة هي اللاتينية، وكانت لهجاتها المحلية مقصورة على شئون المحادثة؛ وما عليه الحال الآن في مصر وبلاد العرب وشمال أفريقيا بصدد العلاقة بين لهجات المحادثة واللغة العربية الفصحى المتخذة لغة كتابة في هذه الممالك

على أن ظاهرة كهذه لا تكاد تبدو إلا حيث تكون لغة المحادثة غير تامة التكون ولا كاملة النمو؛ ولا تبقى إلا ما بقيت لغة المحادثة على هذه الحال. فإذا ما بلغت هذه اللغة أشدها، وتم تكونها، واكتمل نموها، واتسع متنها، ووضحت دلالة مفرداتها ووجوه استخدامها، وتشعبت فيها فنون القول، ودقت مناحي التعبير، وقويت على تأدية حقائق الآداب والعلوم، أخذت تطارد لغة الكتابة وتسلبها وظائفها وظيفة وظيفة حتى تجردها منها جميعها، فتصبح هي لغة الكتابة، وتقذف بلغة الكتابة القديمة في زوايا اللغات الميتة. وهذا هو ما انتهى إليه أمر اللاتينية مع لغات المحادثة بفرنسا وإيطاليا ورومانيا وإسبانيا والبرتغال.

فما أشبه لغة الكتابة الجامدة، في حالات كهذه، بجبل ثلج ثابت على سطح البحر؛ ولغات المحادثة المتطورة بالتيارات المائية التي تموج من تحته. فمهما طال بقاء هذا الثلج، فإن مصيره إلى التحطم والذوبان، وحينئذ تطفو تلك التيارات إلى سطح البحر، وتعيد إليه ما كان مستوراً تحت هذا الجبل الجامد من مظاهر النشاط والحياة: «سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا».

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السربون

الحضـــارة المتبرجة

للأستاذ محمود محمد شاكر

أعطيت هذه الحضارة الأوربية الحديثة أعظم روح من الفن كان في الأرض من لدن آدم إلى يوم الناس هذا . وهذه الروح الفنية — على سموِّها في بعض نواحيها إلى غاية ما يتسامى إليه الخيال الفني — تتساقط وتتدنى وتنحدر من جوانبها إلى أدنأ ما يبتذل من الفن العامي المثير لأشأم الغرائز الحيوانية في الإنسان . وبهذه الرُّوح الفنية عالجت الحضارة الأوربية مشكلة الحياة السريعة الدائبة المثقلة بأعباء العمل ، فاتخذت لكل مَسَلِّ راحة واستجماماً بلغت بهما غاية اللذة الفنية ، تلك اللذة التي تجعل الأعصاب المجهدة إذا أوت إليها كأنما تأوى إلى بيت ذى رونق وزخرف وعطر وضوء يفمغم ألحاناً من الفن الموسيقى ، فإذا بلغته استنامت بإجهادها على حشايا الخز والديباج ، نعومة وليناً ترسل في الأعصاب لذة تمسح الجهد حتى يسكن ويخف ثم يتبدد

وكانت المرأة هى فنّ الفنّ للانسانية ، وهى الشاطئُ الوادع لبحر الحياة المتموج ، وكانت الظل الرطيب فى بيداء موقدة تحت أشعة الشمس المحرقة ، وكانت هى السكن للقلب المسافر دائماً في طلب أسباب العيش والحياة . فجاء فن المدنية الحديثة فجعل الشاطئ بحراً آخر يموج موجاً فنياً مغرباً يجعل السباحة المجهدة فيه ضرباً من الراحة ، وتركت الظل الرطيب حرارة مستعرة تحرق ، ولكنها تحرق بلذة ، وفرشت السكن حتى مدته طريقاً بعيداً مترامياً يسافر فيه القلب سفراً بعيداً فى أحلام وفتنة وجديد لا يتقادم

وبدأت المرأة بدءها لتجعل الحضارة فناً جديداً من تجميل الحياة للمكدودين . ثم جاءت الحرب الماضية ، فخرجت المرأة من وطيسها المتوقد قد استوت ولذّت وطابت ، وتجدّدت عقلاً وروحاً وجمالاً ، وشاركت أسباب الحضارة في إيجاد حل جديد لمشكلة الإنسان العامل المنطلق فى أعماله بسرعة وكدٍّ وإرهاق وعناء ، فاتخذت فن العقل السامى عبداً تصرِّفه فى إنشاء لذات الحياة إنشاءً عبقرياً تخشع لسلطانه النفس خشوعاً راضياً ، ثم تمشى فى جنّاته : تأبى أن تجد راحتها إلا راحة فيها ذلك السحر الناعم الرقيق الفاتن ، الذى يصنعه بنان مؤنث يقول للأشياء : كونى جميلة ، فتكون

وأعطت العين للمرأة أشواقها المستبدة ، وزيّنت المرأة للعين متاعها المتجدد ، فاستيقظت الغرائز كلها من هزة الأشواق وحب الاستمتاع ، وانحدرتْ فى دم الرجل قطرات الفتنة المؤنّثة ، وسطعت فى كيانه كله نفحات العطر المربد ، وألقت المرأة ظلها على كل شىء ألواناً تتخايل بالفن المنسّق البديع ، وصبغتْ كل شىء فى حلاوة أنوثتها ، حتى لم يبق للرجولة ولا للإنسانية هوًى فى الحياة إلا وهو من المرأة وإلى المرأة وفى سبيل المرأة .

وصارت المرأة هى المحور الذى تدور عليه الإنسانية فى فلك الشهوات الضارية التى تنزع منازعها فى حياة الإنسان باقتدار وقسر ، وسار العالم كله على ذلك حتى ما يُحس ذو شعور أنه يعمل من أجل المرأة ، مع أنه ما يعمل عامل إلا من أجلها . فهو فى نشوة متصلة لا تنقطع فى عمله ، لأن الغرائز المنتشية هى التى تحكم وتصرّف ، وبذلك لم يبق له من الفكر ما يستطيع به فى هذا الأمر أن يتبين حقيقة التيار المسكر الذى يتدافع به فى حياته

أصبحت الحضارة الأوربية بعد ذلك فناً جميلاً يتوالى فيه زخرف الحسن مبعثراً ومنتظماً ، لأن الأعمال كلها قد احتملتها إرادة واحدة ، هى إرادة جعل الحياة أجمل مما هى لتكون أمتع للعين والقلب والنفس والغريزة ، مع إسقاط مطالب الروح السامية المتحررة من استعباد الشهوات

ومن عجيب تصريف القدر فى الحياة أن يجعل أعظم شىء فيها هو أقل الأشياء حظاً من الحياة ، فالروح التى هى أعظم ما وجد فى الحياة ، ترجع فى غمرة اللذات والشهوات وأمواج الغريزة الطاغية ، أقل ما وجد فى الحياة ، حتى ما يكون لها نصيب منها إلا ذلك الجو الأغبر القاتم فى عزلة موحشة ، بعيدة عن تحقيق لذاتها الروحانية الحلوة التى تبقى حلاوتها خالدة فى الهرم بعد الشباب ، وفى العجز بعد القدرة ، وفى السكون بعد الحركة ، وفى الموت بعد الحياة . وتقف الروح متغضنة جافة متكسرة تنظر نظرة متألمة إلى ما يصيب الإنسان من اللذات الطارقة الطارئة التى تتحول فى نار الشهوات رماداً بعد توقد واشتعال

فاعتزال الروح فى هذه المدنية الأوربية قد جعل العالم يعيش ليحترق بأسرع ما يمكن أن يحترق ، وهذا هو العلة فى امتياز هذه المدنية بالسرعة والنشاط والتوقد ، واحتمالها متاعب الجهد المضنى فى سبيل استغلال أقصى ما يستطيع الإنسان من الإنتاج فى العمل ، ثم امتيازها بنظام الطبقات الذى تجهد جهدها أن تستره بتلك الزينة الفنية العلمية الظاهرة ، لئلا يكون معنى ذلك أن المدنية تريد أن ترتد بالناس إلى الحالة الطبيعية الوحشية الأثيمة التى ينتجها اجتماع همجى مستبد لا يعقل ، وإنما يكون فيه اللذة التى تسكر العقل ، والظلم الذى يثير العقل ، والأثرة التى تطغى العقل

وجاء اشتراك المرأة اشتراكاً عملياً فى الحياة الأوربية العامة ليقذف الروح بعيداً فى عزلتها ، ويدنى غريزة تشتاق إلى غريزة تشوق ، فكذلك بدأت الأنظمة الأدبية والاقتصادية والمدنية تخضع لسلطان الأشواق وحدها دون سلطان الروح والعقل ، وسلطان الأشواق هو الذى يكون غرضه دائماً أن يضيق ويتخصص وينفرد بأسباب شوقه ، وسلطان الروح والعقل هو الذى يتراحب ويشمل ويعم ويوجد المساواة بين الناس ، مهما لقى من العنت والقسوة والمشقة فى وضع النظام الذى يريد أن يحمل به الناس أحراراً فى قيود من الإنسانية السامية المترفعة عن الذل كما تترفع عن بغى السطوة ، والتى تستنكر العبودية الخاضعة كما تستنكر الحرية الفوضى ، والتى تأبى تحكم طبقة فى طبقة كما تأبى ثورة طبقة على طبقة

ولكن تبرج الحضارة الأوربية فى ذلك الخَلْق الجميل الفتان ذى الحيلة والفتنة والسحر الذى يعيش فى صورة الأنثى ، قسر هذه المدنية على الخضوع لسطوة الشوق المتمرد ، فقام النظام كله على هوى واحد إلى المرأة . فالعامل الذى يعمل يريد أن يستغل الحياة بين يديه لا ليعيش ويعيش معه أهله وبنوه وتلك الدولة الصغيرة التى تسمى البيت ، بل هو يعمل ليجد أولاً تلك اللذة الحاكمة المتحكمة التى يستمتع بها فى ظل تلك الدولة العظيمة التى تسمى المرأة

وإذا بدأت الطبقة العاملة من الشعب تجد حوافز أعمالها فى شىء بعينه ، كانت كل أعماله من الأدنى إلى الأعلى لا تجد فى أعمالها إلا هذا الحافز الواحد ، وإذا تشابهت الحوافز تشابهت الغايات ، وما يفترق هذا عن ذاك إلا بأن لكل شىء أسلوباً ، ومهما اختلفت الأساليب فى هذا فلن تختلف فى الدلالة إلا بمقدار الأصل العملى الذى يوجب هذا الاختلاف

والمكان الذى نصت عليه عروس النفس الإنسانية فى هذه المدنية الحديثة ، هو الحافز وهو الغاية ، ولذلك تجد هذه المدنية قد تبرجت لأبنائها تبرج الفن العبقرى الحافل بأسباب التحكم المستمر فى أعمال كل حى . ولما كانت هذه الحوافز على تعددها إنما هى فى الحقيقة اختصاص فردى لكل واحد من الناس — لأن اللذة لا تقبل الشركة والتعدد — ولكل اختصاص عيب هو الأثرة ، والإصرار على التفرد ، ومعاندة الناس بعضهم بعضاً فى سبيل هذا التفرد — وقع التضارب والتعادى والانتقاض فى كل عمل ، وصار ما يبنى لا يكاد يتم حتى يلقاه ما يهدمه ، وبذلك كان نظام هذه الحضارة مع روعة ما يبنى يقابله نظام آخر فى الهدم والتدمير ، يخيف هذا بقدر ما يروع ذاك

ولولا هذا التبرج الفاجر فى هذه المدنية ، ولولا هذه الشهوات التى انطلقت ترشف من مسكرات الفن المتبرج ، ولولا هذه الغرائز الجامحة فى طلب السيطرة لإدراك غاية اللذة ، لما كان النظام الاقتصادى الحاضر فى هذه المدنية هكذا مهدِّماً مستبداً مستأثراً باغياً ، ولما تمادت القوى الدولية هذا التمادى الذى أفضى بالعالم إلى الحرب الماضية ثم إلى هذه الحرب المتلهبة من حولنا اليوم ؛ وذلك فى مدى خمسة وعشرين عاماً ، لم يستجمع العالم خلالها قوته ، ولم يتألف ما تفرق ، إلا ليضيع قوته مرة أخرى ويتفرق

إن الحضارة فى هذه السنوات التى تبعت الحرب الماضية كانت ترفه عن المكدودين بالعمل ترفيهها الحلو الفنى المتبرج لتعطى القوى العاملة نشاطاً جديداً من النشوة ، أى من الحالة التى يفقد فيها العقل والروح قدرتهما على التحكم فى نظام الحياة . وأقدمت المرأة الأوربية إقدامها الجرىء فجلبت زينتها من كل خيال ومن كل فن ومن كل سحر ، لتعين الحضارة على الحياة والبقاء فى هذا الجو الذى اختارته وعملت له . وكان هذا الإقدام ضرورة طبيعية للمقدمات التى سبقت عصر الحرب الماضية ، ثم للحرب نفسها . فإن المرأة التى فقدت زوجها ، والفتاة التى أضلت حبيبها ، والبنت التى أضاعت قيِّمها من أب أو أخ أو عم ، ... وبقيت فى موج الحياة حيرى متلددة ، لم تجد بدًّا من الإقدام على الطريق المجهول بجرأة واندفاع وتهور ، فلما

أوضعت في الطريق المجهول وأسرعت خطاها جرى العالم وراءها يطلبها ؛ فلم تجد بدًّا من أن تأخذ منه أكثر ما تستطيع لتجتلب زينتها أحسن ما تستطيع ، وتطارد الصيدُ الصائد في كل وجه حتى اصطدم العالم كله هذا الاصطدام الهائل الذي لا يدرى إلى أين ينتهي ولا كيف ينتهى

وستخرج المرأة من هذه الحرب أيضاً كثيرة فاتنة حائرة لا تجد أباها ولا زوجها ولا أخاها ولا حبيبها ، وستكون في عينيها تلك النظرة الحزينة الضارعة التي تقول لك : أنقذنى ! أنقذنى ! ! أنا وحدى ، لا أجد من يعولني ! وسينظر العالم الجديد إلى هذه المرأة بالرحمة والعطف والحنان ، كما نظر للّواتى كنّ بعد الحرب الماضية . وستعمل المرأة يومئذ لتكتسب الرجل في كل وجه ، ثم لا تلبث أن توجد من بقايا العالم المتحطم سحراً جديداً لمدنية ساحرة ، وبذلك يرتد العالم إلى النظام الاقتصادى الفاجر المبنى على اللذة وطلبها والبحث عنها ، فتكون أنظمته كلها قائمة على الاستبداد والفجور في الاستبداد

ويومئذ يبدأ تحقيق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشراط الساعة وما يكون في أعقاب الدهر ، إذ « يرفع العلم ، ويكثر الجهل ، ويكثر الزنا ، ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » ، وحتى « ترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به » . وما يكون ذلك إلا يوم يتحقق للحياة المعنى الفنى المحض الذى لا يعرف قاعدة اجتماعية يحرص على تحقيقها للاجتماع ، والذى يرى الحرية انطلاقاً من قيد الأخلاق التى تقسره على مصلحة الجماعة دون لذة الفرد ، وتتبرج الحياة تبرجاً هائلاً يجمل العقل غريزة جديدة تشتهى ، والروح خلقاً منبوذاً حائراً يطوف على هذه الفتن كما يطوف الصعلوك على مائدة ملكية . ويومئذ يرفع العلم لأنه سيُستعبَدُ في إيجاد اللذات ، وتفارقه الروح النبيلة التى لا يكون العلم إلا بها علماً ، ولا يبقى فى الأرض إلا الجهل الأحمق الذى لا يعرف إلا السيطرة بحماقة ، والأثرة بكلب ، وتكون المرأة هى علم الحياة الجديدة التى يعزق الرجولة القليلة فى جذب الشهوات العنيفة ، ويغرق الفضيلة فى طوفان المتعة الجليلة التى تبعث فى الأعصاب المجهدة نشوة مسكرة .

محمود محمد شاكر

محل الحضارة العربية

للدكتور جواد على

هل هنالك حضارة عالية اشترك فى تكوينها جميع أفراد البشر على اختلاف أشكالهم وأجناسهم ؟ أم هل هنالك حضارات مختلفة لكل حضارة ميزة وعقلية تمثل عقلية الجيل أو الأمة ؟ أم هل هنالك حضارة واحدة تغذى العالم كله وتشع عليه كما تشع الشمس على الأرض ؟ تلك نظريات مختلفة تمثل نزعات علمية وسياسية متضاربة وغايات متباينة . غير أن الرأى السائد اليوم بين جمهور المؤرخين ومنقبى تأريخ الحضارة هو أن هنالك تفاوتاً بين البشر ، كما أن هنالك تفاوتاً بين الحيوان أو النبات ، وأن الحضارة التى هى إنتاج البشر العقلى تختلف لذلك تبعاً لاختلاف المجموعات البشرية[1] ، وهذه النظرية على طرف نقيض مع نظرية هيردر J. G. Herder (١٧٤٤ — ١٨٠٣) ، ونظرية التطور التاريخى[2] للفيلسوف هيكل G. W. F. Hegel (١٧٧٠ — ١٨٣١) ، ونظرية (« الانسانيين » Humanismus)[3] ، وأتباع الكنيسة من المؤرخين

والمسألة لم تقف عند هذا الحد مع ذلك بين أصحاب نظرية تعدد الحضارات ، إذ أن من بين هؤلاء من يدين بفكرة تأثر الحضارات بعضها ببعض ، كما هى نظرية الفيلسوف الألمانى Graf Key-serling مؤسس « دار الحكمة » فى مدينة Darmstadt الألمانية والمستشرق C. H. Becker ، وجمهرة من المستشرقين ، كما أن هنالك مثل الفيلسوف O. Sprengler من يقول بتعدد الحضارات مع وجود نفسية خاصة لكل حضارة ، أو استقلال تام كما هو رأى الفيلسوف Ernst Troeltsch[4]

(١) انظر كتاب Ernst Troeltsch المعنون Kulturgeschichte في مجموعة Schmollers ص ٦٣٣ من المجلد XL IV

(٢) Entwicklungsgeschichte انظر Schmidt قاموس الفلسفة ص ١٠٨

(٣) انظر Schmidt أيضاً ص ٢٧٢

(٤) انظر C. H. Becker فى كتابه Islamstudien جـ ١ ص ٢٤ طبعة ١٩٢٤

أما أصحاب فكرة وجود حضارة واحدة هى سبب هذا التطور العالى والتقدم البشرى المطرد فهم أصحاب العواطف المتطرفون من الأوربيين كالفرنسى رينان Renan فى محاضراته التى ألقاها فى عام ١٨٨٣ و Luschan فى كتابه تاريخ الحضارة السامية و Jehering وكرافر كوبينو والنازيين الألمان وفاشست إيطاليا . ولكن معظم أصحاب هذه النظرية هم أناس ليسوا ذوى اختصاص فى الموضوع ولا دراسة ناتجة عن استقراء على محدود ، بل هم من ذوى الطريقة الفلسفية العامة التى تحاول الإلمام بكل شىء وتضع القوانين حسب قواعد رأتها صالحة لذلك . والحضارة العربية فى نظر هؤلاء حضارة سطحية ظاهرية أنتجتها عقلية آرية ومنابع يونانية فارسية هندية غوطية . وحينما وجد الإنسان ظاهرة من ظواهر الحضارة فى البلاد العربية فلا بد من إرجاعها إلى عقلية آرية وإنتاج غير سامى[1] . ودوزنبرك الدكتاتور النازى للشؤون الثقافية الذى لم يسلم إلا بالزخارف المعروفة باسم Arabeska يحاول الحط من قدر هذه ، فيجعلها تمثل عقلية ساذجة لا غير[2]

غير أن النظريات لا قيمة لها أبداً إن لم تدعم بالنصوص والبراهين ، كما أن الاستشهاد بحادثة أو رواية لا يتخذ حجة للحكم به على أمة . وإنى أستطيع أن أجعل من الأمة الجرمانية أمة همجية بربرية مادية خاملة لم تنهض إلا أخيراً ، كان يحاول زعماؤها إيقاظها ، بالاستناد إلى النصوص الجرمانية نفسها المجموعة فى المصادر والمنابع عن التأريخ الجرمانى[3] . ويستطيع كل مؤرخ أن يفعل ذلك فى تأريخ أى أمة كانت ولا سيما إن كانت أمة ضعيفة فى وقته منحطة . وأستطيع أن أقول إن الأمة العربية لو كانت فى الوقت الحاضر قوية لكانت النظرية على العكس تماماً وفى المصادر

(١) انظر خلاصة آراء هؤلاء فى كتاب H. S. Chamberlain بعنوان Die Grundlagen des Neumehnten Jahrhunderds ص ١٢٤٠

(٢) انظر كتاب Alfred Rosenberg المسمى Der mythebs طبعة ١٩٣٠

(٣) انظر كتاب Reichmann المعنون Ein Jahrtausend Deuts-cher Kultur المطبوع فى لايبزك حيث تجد نتفاً ومنابع مستقاة من كتب التاريخ والأسفار المختلفة فى عصور مختلفة وكذلك المنابع المطبوعة فى اللغة الانكليزية أو الفرنسية عن حياة هذه الأمم ، وإنى كفيل بأن القارئ سيعرف تاريخ أوربا تماما .

والنقوش الأثرية ما يبرهن على أن وضع حدود وحواجز بين حضارة وحضارة ومحاولة عزل الحضارات بعضها عن بعض أمر غير ممكن . حتى فى المسائل الروحية تتأثر الأمم بعضها ببعض . فمحاولة كتابة تاريخ أوربى فقط لا تنجح تماماً إن لم يتطرق المؤرخ فى بحثه إلى الحضارة الإسلامية ، كما أن محاولة كتابة تاريخ عربى مجرد عن ذكر أى تأثير للحضارة الغربية محاولة فاشلة غير علمية(1)

ولو درس التاريخ العربى كما يدرس التاريخ بجميع فروعه فى الجامعات الأوربية، أو لو انصرف المؤرخون إلى دراسة النصوص الأوربية على العلاقات بين أوربا والشرق الأدنى لتغيرت نظرية أصحاب العزلة تماماً. وهناك مؤثرات أثرت تأثيراً شديداً من جانب العرب ليست فى الحياة المادية بل فى الحياة الروحية الأوربية التى هى من أصعب الأشياء لما بين العقليتين من فروق . ومن أمثلة ذلك الشعر فى القرون الوسطى وظهور نوع جديد منه هو الشعر الغزلى على الطريقة الشرقية والروايات العربية والتصوف الذى أطلق عليه اسم « التصوف الألمانى » وكان زعماؤه يجيدون اللغة العربية ودرسوا وترجموا الكتب إلى اللغة اللاتينية(2)

وقد غير كثير من أصحاب نظرية « الشرق شرق والغرب غرب » نظريتهم حين توغلوا فى البلاد العربية وجابوا البلاد الأفريقية، وتوصل بعضهم إلى أن الحضارة العربية تعود إلى الحضارة الأوربية لا الحضارة الأسيوية، وأن السيد أمير على المسلم الهندى أقرب جداً إلى أوربا عقلاً وثقافة من الفيلسوف طاغور الأسيوى فكراً وعقلاً(3). كما لاحظ الأوربيون الذين ذهبوا إلى السودان وأعالى النيل أن التفاهم مع المصريين المسلمين كان يزداد يوماً

(١) Becker فى كتابه دراسات إسلامية ص ٤٢ Islamstudian

(٢) انظر كتاب S. Singer Arabische und Europaische Poe-sie in mittelalter المطبوع سنة ١٩١٨ وكذلك كتاب Burdachs المعروف بـ Über den Ursprung des mittelalterlichen minnesan-ges و Liebesromans und Frauendienstes المطبوع سنة ١٩١٨ كذلك كتاب الاسبانى Miguel Asin Palacios المنون La Esca-tologia muslimana en la Divina Comidia. Madrid 1919

(٣) انظر كتاب الفيلسوف Graf Keyserling الذى ألفه من سياحته حول العالم بعنوان Das Reisetagebuch lives Philosophen المطبوع سنة ١٩١٩ فى Dartmstal جـ ١ ص ٢١٣ — ١٥ وكذلك Becker جـ ١ ص ٢٤

فيوماً كلما تقرب هؤلاء من العالم الأسود ، وكذلك كان الحال فى نواحى أفريقية الأخرى . كما لاحظ المستشرقون أن اللغات الهندية الأوربية تتقارب مع السامية جداً بالنظر إلى اللغة السودانية أو لغة البانتو مثلاً . وقد ظهر أن الأتراك أقرب إلى أوربا عقلياً من اليابان ، مع أن اليابان هى فى مدنيتها أوربية محضة ، ولكنها فى حضارتها أسيوية محضة ، وقد جعلوا سبب ذلك تأثير الحضارة الإسلامية(1) . وأغرب من ذلك هو أن القبائل الإفريقية أو قبائل الهند الهولندية حينما تسلم تسرع إلى لبس الملابس وإلى التقرب من الأوربيين أكثر من الوثنيين الابتدائيين. وهذه المسألة كانت من أهم المسائل التى درستها الحكومة الألمانية قبل الحرب لتعيين سياستها تجاه الإسلام(2)

يرجع بيكر Becker ذلك إلى الأصول التى تتألف منها كل من الحضارتين الأوربية والعربية ، فبينما نجد الحضارة اليونانية الرومانية والحضارة المسيحية والحياة اليومية الأوربية هى الأسس التى تكون الحضارة الأوربية نرى الحضارة العربية متأثرة بالعاملين الأولين مضافاً إليهما العقلية السامية الخاصة ، وهذا هو سبب التقارب الموجود بين الحضارتين(3) ولكن ذلك لا يعنى أن الحضارة العربية مشتقة أو هى جزء من الحضارة الأوربية ، بل هى وسيلة بين الحضارة الأوربية والحضارة الأسيوية(4) لها مميزاتها الخاصة ومثلها العليا ، ونظرتها العالمية

هنالك حضارة كما أن هنالك مدنية، ومن الخطأ عدم التفريق بينهما، كما أن من الخطأ تفضيل حضارة على حضارة بصورة مطلقة دون قيد أو شرط ، إذ أن كل حضارة تمثل نفسية خاصة هى وليدة عوامل مختلفة ، ومن الخطأ كذلك أن تتكلم عن حضارة أوربية بصورة عامة ، إذ أن بين شعوب أوربا من البون الشاسع كما فى شعوب البلقان ما لا يسوغ لنا إطلاق هذا التعبير . كما أن من الخطأ نكران الحضارات الأخرى، ولدينا أمثلة من الحياة اليومية لا تنكر

ميراد على

خريج جامعة هامبرك بألمانيا

(١) انظر Becker جـ ١ ص ٢٧

(٢) انظر كتاب — Prof. Pfannmüller Handbuch der Islam Literatur Berlin 1923 فى الفصل الثانى عشر منه

(٣) Becker ص ٢٨ (٤) كذلك ص ٣٥

للنقد الخالص

من عجائب الفهم ...؟!

للأستاذ زكي طليمات
مفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف

للنقد الأدبي اليوم في مصر حركة ونشاط ، وكأن الأدب في مصر ، وقد تأثر بالهزة المنيفة التي أنزلتها الحرب القائمة بالنظم والأوضاع في حياة العالم بأسره ، يختلج اليوم اختلاجات عنيفة ويتحوى وينقبض شأن كل كائن يتهيأ لحركة عنيفة ، أو يتحفز لوثبة قادمة

والحرب والنقد شيء واحد ، فالحرب — كما قرر بعض علماء الاجتماع — وقفة تقفها الإنسانية تراجع فيها نظمها وما كانت عليه ، لتتــدارك ما « تضخم » من طفيليات المذاهب ، وتفتح عروقها لتتفصد بما طغى عليها من الأوشاب والفضول ، والنقد في طبيعته ووسائله ومقاصده لا يختلف عن هذا

وقيام هذه الحركة النقدية في مصر اليوم جدير بالاهتمام حري بالتأمل ، يبعث الارتياح في نفس كل تواق إلى أن يرى الأدب في مصر يقتحم مناطق جديدة من النشاط الذهني ، ويعمل على أن يتخلص من علله وأمراضه . فالنقد شاهد على حيوية الأدب ، وفيه ما ينهض دليلاً على أن الذهن يتطلع ، ويؤمل ، ويراجع ، ويتبصر ، وينصب الميزان الصحيح

وآخر ما قرأناه في هذا الموضوع نقد بعنوان « من عجائب الاجتهاد » بإمضاء (ناقد أديب) ، تناول في نقده هذا مسرحية « مفرق الطريق » للدكتور بشر فارس

و « مفرق الطريق » مسرحية أخرجها مؤلفها إلى الناس منذ عامين فدوّت في عالم التأليف المصري دويًّا واسعاً ، دفع الأقلام إلى تناولها بين مادح ومستغرب ، وكانت (الرسالة) الغراء معرضاً لما دبجته هذه الأقلام ، وقد كان لي سهم في الكتابة عن هذه المسرحية ، فبسطت دقائقها ، وكشفت عن معانيها الخفية ، وبينت أصالتها في الرمزية المستحدثة ، وقررت جدتها في عالم التأليف المصري للمسرحية

قرأت نقد (الناقد الأديب) وكان أول ما عجبت له أن يخرج ذلك المقال متأخراً ، بعد أن مضى على ظهور المسرحية أكثر من عامين ، وبعد أن خبت النار التي اشتعلت حولها . عجبت لهذا ثم عجبت لما هو آخذ من هذا ... مما يصح أن يقف القارئ عليه خلال مطالعة مقالي هذا ليشاطرني عجبي ، ولينتهي إلى ما انتهيت إليه

* * *

يزعم (الناقد الأديب) أن الفكرة التي تقوم عليها (مفرق الطريق) توافق في جوهرها فكرة فلسفية أوردها (الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد) في قصيدة له عنوانها « القمة الباردة » ويحاول تأييد زعمه هذا بإيراد جمل وألفاظ غير مفهومة ، مقتطعة عمداً من المقدمة التي قدم بها الأستاذ العقاد قصيدته ، ومن التوطئة التي مهّد بها الدكتور بشر فارس لمسرحيته ، عبارات ملتقطة في تعسف واقتضاب يجعلها تحتمل وجوهاً من التأويل اللفظي فقط ، قد ينغلق معها المعنى الصريح ، فتنبعث شكوك القارئ .

وكأن « الناقد الأديب » ينسى أو هو يتناسى أنه لا يجوز الحكم في قضية بإيراد بعض ألفاظها المنسلخة عن قصد مرسوم

ما هي الفكرة الفلسفية التي تقوم عليها قصيدة القمة الباردة ؟

إلى القارىء نص تقديم القصيدة كما أورده الأستاذ العقاد :

« للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج ، وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة . فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم ير شيئاً ولم يشعر بشيء ، لأن حقيقتها كلها ذرات ترجع إلى حركة متشابهة في كل ذرة ، فخير له ألا ينظر إلى الحقائق كل النظر ، ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض ، لأن الحيّ لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدركها البديهة ، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلى قمتها الباردة التي لا يشعر فيها بحياة »

وجاءت القصيدة بعد ذلك ، وأبياتها في وصف هذه القمة :

هنالك لا الشمسُ دوّارَةٌ ولا الأرض ناقصةٌ زائدة
ويابؤس فانٍ يرى ما بدا من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قــدرة وحيٌّ له جثــة هامدة
إلى النور ، أما ثلوج الذرى فلا خير فيها ولا فائدة

والمقصود بثلوج الذرى : حياة الفكر المجرد ، والمقصود بالنور حياة الفكر العملي

وهكذا نرى أن القصيدة ، تقديماً وشعراً ، ما هي إلا عرض وتحليل لمذهب من مذاهب المعرفة . ومسألة المعرفة

La connaisasnce تتعلق بالفلسفة العامة أو ما وراء الطبيعة ، بل إن هذا المذهب الفلسفي بالذات هو مذهب مشهور وصاحبه الفيلسوف الألماني (كانت Kant) الذي قيد الوصول إلى اليقين بنظريته (النسبية Relativisme) أو (القيسة)(١) القائمة على تحديد إدراك العالم الخارجي ، وهو ينفي أن تستطيع الحواس إدراك الأمور المطلقة أو الحقائق في ذاتها ، فالمعرفة في نظر (كانت Kant) نسبية وظاهرة ، قوامها الفهم أو البديهة ، وأدواتها الحواس ؛ فالفكر يُلبس المعرفة شكلها دون المادة ، وأما المادة نفسها فهي فوق إدراكنا وإن كانت موجودة حقاً(٢)

وهذا ما فسره الأستاذ العقاد بالذات في مقدمته بقوله : « لأن الحي لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدركها البديهة » !

وأما ما وراء ذلك من طلب المعرفة — وطريقة الفكر المجرد الخالص من فعل الحواس — فيلقي بالمرء في قمة لا متسع فيها لعمل الفكر ، خارجة عن الحياة « لا الشمس هنالك دوّارة ، ولا الأرض ناقصة زائدة » فإذا المرء : « ربٌّ بلا قدرة ، وحيّ له جثة هامدة »

وخير للمرء أن ينزل إلى الغور ، أي إلى الأخذ بظواهر الدنيا ليستطيع أن يلمسها ويدركها ، فيحيا على قدر ما رُكّب فيه من إدراك وفهم

هذا ما أراد قوله أستاذنا الكبير العقاد ، وهو من أحسن الشعر وأجوده وأبعده معنى

وبين هـذا المذهب وما نزع إليه في بعض مسرحياته (هنريك إبسن) زعيم المسرحية الحديثة وشائج قربى ونسب . ومن درس (إبسن) يعرف (قمه المثلوجة) أو قمه الباردة

ولا لوم ولا تثريب على أستاذنا العقاد أن يورد قصيدة من شعره تحمل في طياتها نزعات فلسفية لمدرسة معروفة . فليس كل شاعر أو أديب مهما نبه ذكره وعلا شأنه بصاحب مدرسة في الفلسفة système phylosophique والأدب الذي يجفوه لمسات المذاهب الفلسفية الرفيعة هزيل في كيانه قريب في معانيه .

وإنه لأمر مقبول — بل وواجب — أن يعتنق الكاتب والفنان مذهباً من المذاهب الفلسفية الرفيعة ؛ وهذه هي حالة كبار الأدباء في أوربا ، فالكاتب ويلز من الآخذين بفلسفة النشوء والارتقاء كما بيّن ذلك الأستاذ (علي أدهم) في عدد قريب من أعداد « الثقافة » ؛ و (بيراندللو) متأثر بأعمال (فرويد) وكذلك (ليونورمان) و (أندريه جيد)

* * *

والآن ما ذا أراد أن يقرره بشر فارس في مسرحية : « مفرق الطريق »

تقوم هذه المسرحية على معالجة حالة نفسية غامضة ، أو على تعقيد نفسي complexe psychologique ، كما يقول علماء النفس اليوم ، مُفادُها : المرأة التي يجذبها الحب وتخاف منه ، والرجل الذي يريد الحب ولا يعرف قدره ، ثم الرجل الذي يريده ولا يستحقه . وهذه قضية من قضايا النفس البشرية ، لا علاقة لهـا بالمسائل الفلسفية الصرفة اللاحقة بنظرية المعرفة واليقين ، وما يدخل في باب ما وراء الطبيعة(١) الذي أورده الأستاذ العقاد في قصيدته ، ومرده إلى فلسفة (كانت)

والمذهب الذي نزع إليه بشر فارس في مسرحيته ، قد بسطه في توطئة مسرحيته بسطاً محكماً ، إذ قرر أنه آخذ بالطريقة الرمزية فلسفة وأدباً وفناً ، فقال في صحيفة ٦ : « وليست الرمزية ههنا بموقوفة على الرمز بشيء إلى شيء آخر ، ولكنها فوق هذا استنباط ما وراء الحس من المحسوس ، وإبراز المضمر ، وتدوين اللوامع والبوادر بإهمال العالم المتناسق ، المتواضع عليه ، المختلق اختلاقاً بكد أذهاننا ، طلباً للعالم الحقيقي الذي نضطرب فيه ، رضينا أو لم نرض ، عالم الوجدان المشرق والنشاط الكامن والجماد المتأهب للتحرك ، إلى ما يجري بينها من العلاقات الغريبة والإضافات التائهة في منعطفات الروح ومثاني المادة ، يشترك في كشفها الإحساس الدفين والإدراك الصرف والتخييل المنسرح »

فالمذهب الفلسفي عنـد بشر فارس غير المذهب الفلسفي عند الأستاذ العقاد

(١) والنسبية هنا هي غير نظرية النسبية Relativité عند العلامة (أينشتين) طبعا .

(٢) راجع لكل هذا أي كتاب في الفلسفة ، مثلا (دروس في الفلسفة ، الجزء الثاني) (نظرية المعرفة واليقين) للعلامة A. Rey الأستاذ بكلية باريس . الناشر Reider بباريس ١٩٢٧

(١) métaphysique

(العقاد) مذهبه النزول إلى ظواهر الدنيا والاطمئنان إليها من غير أن يهمل الحقائق كل الإهمال ، و (بشر فارس) مذهبه الاعتماد على البصيرة والإحساس الدقيق والإدراك الصرف مع إهمال ظواهر العالم وطلب خفاياه وبواطنه ، وهذا من المذهب الباطنى أو التصوف ، وهو مذهب معروف عند أفلاطون وبلوطنيوس والمتصوفة على أشكالها ، وقد أحكم أمره أخيراً الفيلسوف الفرنسى (برجسون Bergson) وأيدته تجارب عدد من العلماء والأطباء فيما يتعلق بالعقل الباطن . وقد أسهبت فى تبيين هذا المذهب فى المناقشة التى دارت بينى وبين بشر فارس نفسه فى (الرسالة) منذ عامين

وقد أحدثت آراء (برجسون) بدورها تيارات واسعة تأثر بها كثير من الكتاب ، وأحدثت نوعاً من أنواع الشعر الرمزى فى فرنسا

فأين بصيرة (برجسون) التى أخذ عنها بشر فارس فى معالجته قضية من قضايا النفس البشرية ، وذلك فى مسرحية (مفرق الطريق) ، من المسائل الفلسفية الصرفة اللاحقة بنظرية المعرفة واليقين للفيلسوف (كانت Kant) التى تأثر بها الأستاذ العقاد فى قصيدته (القمة الباردة) ؟

إذن يكون حقاً من عجائب الفهم أن يتهم (الناقد الأديب) بشر فارس بأنه أخذ مسرحيته هذه من تلك القصيدة

ويكون أيضاً من عجائب الفهم ومدهشاته أن يلج (الناقد الأديب) فى اتهامه هذا ، محاولاً أن يقيم الشواهد على ما ذهب إليه ، فإذا هو يتعسف ، بل هو يغالط ولا يبالى أن يحرف المسائل عن مواضعها ، فقال إن فى قصيدة العقاد يعيش العقل متجرداً من الشعور فى عالم ثلجى لا يشعر فيه بحياة . فأين ورد هذا فى قصيدة العقاد وتقديمها ؟ ؟

كذلك أورد (الناقد الأديب) ألفاظاً كالعقل والشعور والثلج ، وقد غاب عن ذهنه أن الثلج عند (العقاد) رمز إلى ابتعاد المرء عن ظواهر الدنيا وتقربه من الحقائق وتمسكه بالفكر المجرد . هذا فى حين أن (الثلج) عند بشر فارس ، رمز إلى خلاص النفس من ألم الإحساس البشرى

وتورط (الناقد الأديب) فيما هو أدهى من هذا ، وهو يحاول أن يقرب مسرحية (مفرق الطريق) من قصيدة (القمة الباردة) للعقاد فنسب تصميم رسم غلاف المسرحية إلى بشر فارس نفسه ، والواقع أن صاحبة الرسم فنانة باريسية اسمها « سوزان جوفروا » كما هو موضح فى الصفحة الأولى من المسرحية المطبوعة . وقد شرح المؤلف وضع المسرح فى (التبيين) الذى صنعه للمسرحية (ص ١٤٠) مشيراً إلى رمز الغلاف ، ولم ترد فى تبيينه كلمة « قمة » ولا « غور »

بعد هذا يأتى اتهام آخر له وزنه فيقول (الأديب الناقد) إن الصراع « بين العقل والشعور » وهو مما ورد فى مسرحية بشر فارس ، منقول بإطاره من قصيدة للشاعر على محمود طه المهندس عنوانها « قلبى »

والرد على هذا أن الصراع بين العقل والشعور حقيقة من حقائق النفس البشرية ، فهى عامة ومبذولة لكل كاتب ، وما نعرف كاتباً أو شاعراً — إلا فيما ندر — لم يبن على هذه الفكرة بعض مؤلفاته . وإلى القارئ أعمال (راسين) الفرنسى و (شاكسبير) مثلاً شاهدة على ذلك . وما (الشاعر المهندس) إلا واحد ممن أخذوا بهذه الفكرة العامة . وستبقى هذه الفكرة كما كانت دائماً ، معيناً يأخذ منه الكتاب ما دامت النفس البشرية لم تتغير ، وما دام الكتاب يعنون بتسجيل خفايا هذه النفس

وإن صح ما ذهب إليه (الناقد الأديب) فى هذا الصدد ، يكون الأستاذ الكبير توفيق الحكيم الذى أقام مسرحيته الرفيعة « شهر زاد » على فكرة الصراع بين المادة والروح قد سلخ هذه الفكرة ممن سبقه إليها فى الأدب العالى ويكون الحال كذلك فى مسرحيات (إبسن وشكسبير وبيراندللو) الذين أقاموا مؤلفاتهم على حقائق النفس البشرية

إن المعانى والفكر المتداولة أشياء يشترك فيها جميع الناس فهى دوارة فى نفس الجاهل والسوقى ، والمتعلم والأديب ، وإنما العبرة بطرائق معالجتها وبالكسى التى تضفى عليها من حيث حسن التأليف وجودة التركيب والابتداع ، والنفس المبتكر الخلاق ، وهنا مجال التفاوت بإبراز الشخصية الكاملة المستقلة ؟ ومن هنا يتأتى الخلود الذى يتوج أعمال الشعراء والكتاب والفنانين .

زكى طليمات

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

البلقان

يجتاز الحرب الآن فترة هدنة قصيرة ، تنتظر فيها الأداة الحربية نتيجة المباحثات السياسية ، فهى فترة صراع عقلى قاس ، يتناول خريطة العالم بأجمها ، فالمباحثات السياسية دائرة فى روما وبرلين وطوكيو ولندن وموسكو ووشنجطن ، وتتناول موضوعاتها مستقبل الدول فى العالم القديم والجديد

ولكن أبرز هذه المباحثات وأكثرها جذباً لأنظار العالم ما يدور حول البلقان ، تلك البقعة التى تنبأ لها العالم قبل أن تنشب الحرب بأنها ستكون مسرح نضال عنيف ؛ ودامت الحرب عشرة شهور والبلقان تترقب ما تكشف عنه الأيام والحوادث. فهل تكشف الحوادث الأخيرة عن مصير (نصف دستة) من الدول؟ وهل ينتقل ميدان الحرب إليها أم تتولاها يد الاتفاقات السياسية بالبتر والترقيع ؟

هذه أسئلة لا تسهل الإجابة عنها ، فالسياسة تلد كل غريب، والمناورات الحربية تخلق المتناقضات ، ولا نستطيع أن نجزم إذا كانت المناورات السياسية الحالية مناورات عسكرية يقصد بها شغل الرأى العام عن حركة عسكرية تعد ، أم أنها مباحثات سياسية فعلاً ؛ فالحرب الآن لا تقتصر على البندقية والمدفع ، ولكنها تمتد إلى الحالة المنوية للشعوب

نصيب الأسد

وعلى أية حال ، فالبلقان الآن فى كفة القدر ، تتطاحن من أجلها دول أوربا الدكتاتورية علناً، وإن كانت تذيع فى الوقت نفسه أنها متفقة كل الاتفاق ، وقد تتفق سياسياً كما قالت الأنباء البرقية ولكنه سيكون اتفاق الإكراه ، لأن الروسيا سواء اتفقت أم لم تتفق ستخرج من الغنيمة « بنصيب الأسد » ، وستضطر إيطاليا إلى ابتلاع أمانيها والتخلى عن أطماعها التى طالما رددها موسولينى ، وسترغم ألمانيا على نسيان وعودها . فالموقف الآن غير ما كان من سنة ، فقد رق الآن قناع ستالين وبانت من خلفه أنياب أقسى مما كان موسولينى وهتلر يظنان ، وأصبح لروسيا وحدها تقرير مصير تلك الدول

أما انجلترا فيبدو للناس أنها تتفرج ، وربما كان هذا صحيحاً ، فالانتظار فى مثل هذه الأحوال أصلح من التسرع ، لتكشف كل من هذه الدول عن نياتها ، حتى يتاح لانجلترا أن تعمل ، وعندئذ تضرب ضربتها فى الصميم ؛ فقد تأخرت دول البلقان فى العمل ، وكم نادى ساسة الإنجليز باتحاد تلك الدول ، ولكنها ظنت سلامها فى الحياد وتمسكت به ، إلى أن حانت اللحظة التى صار الحياد فيها انتحاراً ، وأصبح اتحادها قليل القيمة ، بعد زوال القوة العسكرية الفرنسية من الميدان ، وبعد ما فرغ الجيش الألمانى من أعماله البرية ، واستتب له الأمر فى ميدان أوربا الغربى ، فأصبح جزء كبير من وحداته مطلق السراح

وبرغم الأحداث الأخيرة ما زالت مصالح انجلترا فى البلقان راجحة ، وما زالت تركيا واليونان مواليتين لها ، ووقفت يوجوسلافيا صامتة

رنين النقود

وما كادت الروسيا تستولى على بسارابيا وشمال بكوفينيا حتى هبت « بلغاريا » و « هنغاريا » تطالبان بنصيبهما ؛ الأولى تطالب بترانسلفانيا ، والثانية تطالب بدوبروجة ؛ فقد صبرتا طويلاً وضحتا كثيراً ، وهما فى معاملاتهما تحدوهما غاية واحدة تنطبق على مثل بلغارى يقول : « إن أحب الموسيقى إلىّ هو رنين النقود التى تملأ كيسى »

فهل ملأت معاملات ألمانيا مع هاتين الدولتين فى الفترة الماضية كيسهما نقوداً ؟ الحقيقة أن الفترة الماضية كانت فترة تضحية من جانب الدولتين ، فكانتا تقدمان لألمانيا محصولات بلادهما مقابل بعض المنتجات الألمانية الناقصة أو القليلة القيمة ، وكانتا ترسلان إليها المواد الغذائية وتستوردان مدافع تنقصها الذخيرة ، وآلات كاتبة أو أدوات تصوير ، فقد تحفظت ألمانيا فى تسليح هاتين الدولتين حتى لا تكونا خطراً يهددها إذا حانت ساعة الفصل

وها هما تان الآن تطالبان بالثمن ، ولا شك أن الفترة الحالية أحسن فترة تتاح لهاتين الدولتين لمواجهة ألمانيا التى من مصلحتها أن يستقر السلام فى مخزن مؤونتها فى البلقان ،

فرومانيا متأثرة بصدمة الروسيا وألمانيا تريد التفرغ لانجلترا ولا تريد شغل نفسها في ميدانين ، والروسيا متحفزة لتنفيذ خططها غير مقيدة باتفاق أو تعهد إلا مصلحتها الخاصة

وتنتهز الروسيا — كما شاهدنا حتى الآن — الفرص للعمل فتترك الدول تتطاحن حتى إذا قررت عملاً سبقتها إلى الحصول على ما تريد وتضعها أمام الأمر الواقع ، وأهم أغراض الروسيا في البلقان أولاً : الاستيلاء على آبار البترول في رومانيا ، وثانياً : الوصول إلى مضيق البوسفور والدردنيل كما قلنا من قبل ، ونجاحها في الحصول على هذه الأغراض رهن بالظروف التي تمدها الدول المتطاحنة

نصيب إيطاليا

وانحط مركز إيطاليا في التطاحن الحالي ، فبعد أن كان لها صوت مسموع ومركز محترم في البلقان أصبحت كلمتها ثانوية ومن قبيل الاستشارة فحسب ، إذ أصبحت تابعة لهتلر تستمد من خططه خططها ، واضطرتها ظروف الحرب الحالية إلى الخضوع للخطط الألمانية خضوعاً تاماً

وقبل أن تنغمر إيطاليا في سياسة المحور كانت ذات أطماع كبيرة ، ولم يكن استيلاؤها على ألبانيا إلا خطوة لاعتبارها من من دول البلقان ، فمن ألبانيا فتح أمامها الطريق إلى بلاد اليونان ويوجوسلافيا ، فضلاً عن أنها أتمت سيطرتها على بحر الأدرياتيك ووضعت منافذ يوجوسلافيا البحرية تحت سلطتها ، فإن مضيق أرنتو لا يتجاوز طوله ٤٠ ميلاً يسهل إقفاله بالألغام أو السيطرة على منبع مائه بالمدافع الساحلية

ويرجع اهتمام إيطاليا بالبلقان إلى ما قبل الحرب الماضية ، فكانت المنافسة بينها وبين الامبراطورية على أشدها في البلقان وخصوصاً في ألبانيا ؛ فأنشأت كل منهما عدة مدارس لنشر ثقافتها في تلك البلاد ، وكانتا تتنافسان في جذب الطلبة إلى معاهدها فتقدمان لهم الملابس والغذاء مجاناً ، وكانت كل منهما تحرص على عدم إغضاب الطلبة وتوقيع العقوبة القاسية عليهم حتى لا ينتقلوا إلى مدارس الأخرى

ولسياسة إيطاليا القديمة يفضلها البلقانيون على ألمانيا ولكن ضعف إيطاليا الحالي واعتمادها على ألمانيا دفعا بالدول البلقانية إلى الارتماء في أحضان ألمانيا لحمايتهم من أطماع الروسيين

ولا نستطيع أن نجزم الآن بما سينتج من الحادثات الدبلوماسية التي تدور الآن، ولكنه من الواضح أن الدولتين اللتين تسعيان لسيطرتهما على دول البلقان هما الروسيا وألمانيا ، فرومانيا تستغيث بألمانيا وتقدم لها فروض الطاعة ، وتيسر لها التجارة أملاً في حمايتها ، ولإيجاد مصالح قوية تحتم على ألمانيا الدفاع عنها

ولا نعتقد أن أنباء الاتفاق الأخير بين رومانيا من ناحية والمجر وبلغاريا من الناحية الأخرى على إعطاء الدولتين الأخيرتين بعض ما تطمعان فيه في رومانيا اتفاقاً نهائياً ، فهو كما يبدو لنا مجرد تهدئة أعصاب لا يلبث أن يمحى عند ما تضع الحرب أوزارها، لأن معناه أن تخرج ألمانيا من البلقان صفر اليدين وهذا ما لا ترضاه، إذ من الراجح أن تكون يوجوسلافيا من نصيب إيطاليا بحكم قربها منها ولطول سواحلها على بحر الإدرياتيك مما يهدد سيادة إيطاليا البحرية في الصميم ؛ والغالب أن تنقض ألمانيا هذه الاتفاقات عند ما تسنح لها الفرصة لتحقق أطماعها في البلقان سواء بالسيطرة التجارية أو العسكرية

***

فرنسا تعتنق الهتلرية

ثم فرنسا التي كانت تدين منذ عهد الثورة الفرنسية بمبادئ الحرية والمساواة والإخاء ، تقبر الآن الحرية والمساواة والإخاء لتقلد الهتلرية ، فينادي قادتها بالديكتاتورية ويدعون إلى ترك المبادئ التي طالما كانت تضيء للعالم سبل المدنية والتقدم ، لترجع إلى مبادئ القبيلة ، لتقدس الأسرة بعد ما كانت تقدس العالمية ، وتعمل للفرد بعد ما كانت تعمل للعالم ، فتنتكس مثلها العليا من التعميم إلى التخصيص ، وتنحصر أفكارها فبعد ما كانت تقود العالم بآراء مفكريها ، ومبادئ أهلها ، تزول عنها الصبغة الدولية لتحل محلها صبغة الأسرة

وسبقتها ألمانيا في هذا السبيل من قبل ، وفي مثل ظروف الهزيمة واليأس التي تعانيها فرنسا الآن ، ولكن ألمانيا في عهد غليوم الثاني كانت أقرب إلى الدكتاتورية منها إلى الديمقراطية ؛ تكونت في عهد ولهلم الأول وبسمارك دولة حديثة العهد لم تتم وحدتها إلا بعد حرب الأمم ، فلم يتعاقب على وحدتها جيلان حينما حلت بها كارثة الحرب العظمى ، ولم يشعر أهلها حتى ذلك الوقت بثقل وطأة النظام الفردي ، فلم يقدموا لمبادئ الديمقراطية

ما قدمت فرنسا من ضحايا ، ولم يحطموا من مظاهر الظلم والجور ما حطم الفرنسيون فى سجن ابناستيل ، ولم تمر بهم خطوات التقلب من الملكية المطلقة ، إلى حكومة الإدارة ، إلى الإمبراطورية إلى الجمهورية

لم تتقلب ألمانيا المتحدة فى تجارب أنواع الحكم من جمهورية وامبراطورية كما تقلبت فرنسا ، فلم يتول حكم ألمانيا إلا عاهلان فتيسر لولهم الأول بناء وحدتها ، وجاء غليوم الثانى فكان نكبة عليها ، وظل الاتحاد الجرمانى طول عهده بالحياة فى ظل الحرب والاحتفاظ بالوحدة ، ولم يفكر أهله تفكيراً جدياً فى نظام الحكم الملائم

تقليد غير موفق

فهل ينطبق هذا على فرنسا التى عاشت القرون الطويلة متحدة تجرب ألوان الحكم من فردية مطلقة ، إلى فردية مقيدة ، إلى حكومة شعبية ؟ وهل يستطيع الفرنسى أن ينزع من قلبه حب الحرية ليعيش مقيد الحرية ، محصور التفكير ، تمد عليه أنفاسه وتفرض عليه تصرفاته كما يريد هتلر ونصيره بتان ؟

كلا . إن حب الحرية فى دم كل فرنسى ، فإذا شغلته النكبة الحالية عن مبادئه ، فلن يلبث أن يعود إلى رشده ويذكر حريته عند ما تستقر الحال ، فالصدمة الحالية لن تسلب الفرنسى الحقوق التى سطرها بدمه ، فهو الآن فى نوبة من الغيبوبة التى تزول عند ما تزول الصدمة

وهذه المظاهر التى أعلنها المارشال بتان إنما هى تقليد أعمى يخالف الثقافة الفرنسية ، ويتنافر مع طريقة المعيشة الفرنسية ،

ولعل الدافع للمارشال بتان على هذا التقليد ما رآه من تشابه بين حال فرنسا الآن وحال ألمانيا عقب الحرب الكبرى ، من انهيار استقلال أمته وتغير أقيسة المعيشة فيها ؛ فإذا كانت هذه نظرته ، فقد فاته ما بين الشعبين من اختلاف فى التقدير والحالة العامة

فقد خرجت ألمانيا من الحرب الكبرى بعد نضال دام أربع سنوات أ كل الأخضر واليابس ؛ فأنهكت موارد البلاد حتى عم الجوع وتضخم النقد حتى فقد قيمته الشرائية ، وأصبحت ألمانيا فى حالة إفلاس ، وانتشرت البطالة والشيوعية بين الشعب ، فلم يجد الناس عملاً يكتسبون الرزق من ورائه ، وظهرت الفتن والثورات

تشغيل العاطلين

فى هذه الظروف برز هتلر فوزع الوعود ما وسعه الكلام ، وما سمحت به الاستعارات ؛ وكان الشعب فى حالة اضطراب ، لا يصدق أنه خسر الحرب بعد ما بذل من جهد ومال ، فقال لهم : ما جذبهم إليه إذ أتهم اليهود بأنهم سبب خسارة الحرب بما نسجوا من دسائس ومؤامرات

وزاد على ذلك أن استدرج الشعب لجعل من حزبه مكتباً لتشغيل العاطلين ، وعلى هذا الأساس بنى حزبه ، متوسلاً إلى تحقيق برنامجه باضطهاد اليهود وفصلهم وإحلال الألمان محلهم ، وبتكوين فرق مقاتلة تحمى المصانع الكبيرة من جهة ، وتكره أصحاب الأعمال على إطاعته من جهة ثانية

فهل هذه حال فرنسا الآن ؟ هل عمت البطالة فرنسا وانهار نقدها وجاع أهلها ؟ إن فترة الحرب كانت قصيرة فلم تمهد لهذه الأحداث ؛ وفرنسا دولة قليلة السكان لم يشك أهلها كما شكى العالم من أزمة البطالة الحادة فى السنوات الماضية

استقرار الحكم

فليس للشعب الفرنسى من الأسباب ما يدفعه إلى كره مبادئه والسخط عليها ، وإذا كانت هناك أخطاء فهى أخطاء القادة من أمثال بتان ؛ أضف إلى ذلك أن نصر ألمانيا لم يتم ، وما زالت انجلترا فى الميدان ، وما زال دى جول يمثل الشعب الفرنسى ، وفى نصر انجلترا خلاص فرنسا من كارثتها الحالية

فتجربة بيتان تجربة وقتية لن تلبث أن تزول ، لأنها لا تقوم على أسس صحيحة ، ولم يبلغ يأس الشعب الفرنسى حده ليترك مبادئه السامية ويشايع الهتلرية ؛ وإن كانت هناك أخطاء فى عدم استقرار الحكم

فليحاول هتلر أن يقلب رجال الحكم ويضع مكانهم رجالاً نازيين ، وليحاول بيتان أن يجاريه فى تنفيذ هذه السياسة ماوسعته المجاراة فإن فرنسا لم تصدم الصدمات التى تنسى شعبها حبه للحرية والمبادئ التى ضحى من أجلها

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة

من نار الوطن

يا «مصــــر» ...
... يا أنشودة الدنيا !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ناداكِ مجدُكِ فاستجيبي !   وامشي لهُ فوقَ اللهيبِ !
وتجشَّمي لعُلاهُ نيـرانَ   الشدائدِ والخطوبِ
وثِبي لهُ أيانَ شا   ءَ، ولو على كَبِدِ الغيوبِ
صفًّا من الأبطالِ يزْ   حفُ تحتَ ألويةِ القلوبِ
نشـوانَ يهزأُ بالمنا   يا الحُمرِ في اليومِ العصيبِ
ويُزلزلُ الأيامَ إنْ   لقيتْهُ عاديةُ الكروبِ ...
هُـبِّي كطاغيةِ الريا   حِ، وثورةِ البحرِ الغضوبِ
يا «مصرُ» قد دوّى النفيـرُ   على ضفافكِ فاستجيبي
واستنهضي النـوّامَ في   زمنِ التحفُّزِ والوثوبِ
زمنٍ نرى الدنيا بهِ   سبَّاحةً بدمٍ صبيبِ
والدهرَ مثـلَ سريرةٍ   ناءتْ بأعبـاءِ الذنوبِ
غشَّتْ على أرجائهـا   ظُلَمُ التشكُّكِ والرُّيوبِ
والشرُّ، والقلقُ المفزِّ   عُ للمضاجعِ والجنوبِ !
والأرضَ مثـلَ سفينةٍ   رعناءَ في يمٍّ قطوبِ
حيرى تُضلِّلها الريا   حُ عن المسالكِ والدروبِ
في الشرقِ، في الغربِ المروَّ   عِ، في الشمالِ، وفي الجنوبِ
ليلٌ ترصَّدَ أفقَهـا الدا   جي بإعصـارٍ رهيبِ
وردًى يقولُ لهـا: أغِثْـتِ   فأقبلي عندي وتوبي
هـاتي الدمَ المسفوكَ منـكِ   وأترعي قدحي وكوبي !
فمضتْ تخبَّطُ في القتـا   مِ بحيرةِ الطفلِ الغريبِ
رُبَّانُهـا «عِزريلُ» فا   نظرْ هولَ مصرعِها العجيبِ !

* * *

يا «مصرُ» حولكِ مرجلُ الـ   آفاقِ مضطرمُ الشبوبِ
ريحُ الحروبِ عليهِ في الدنـيا   مُجلجلةُ الهبوبِ
معتـوهةُ الخطواتِ تعـصفُ   بالخصيبِ وبالجديبِ
هبَّتْ وشمسُ العصرِ في   سربالِ بهجتِها القشيبِ
فإذا بها أشـلاءُ ليـلٍ   فاجعِ الرؤيا كئيبِ
حفرتْ له قـبرَ الحضا   رةِ فتنةُ العقلِ المريبِ !!

* * *

يا «مصرُ» يا أنشودةَ الدُّ   نيا وأغنيـةَ الشعوبِ
يا أمَّ أبطـالِ الفنو   نِ وأمَّ أبطالِ الحروبِ
يا أرغنَ التاريخِ، يا   نغمًا من السحرِ المهيبِ
يا جنـةً تهتزُّ بالـ   أسرارِ بين شذًى وطيبِ
من كلِّ معجزةٍ ينو   ءُ بوحيِها قلمُ الغيوبِ
وتميلُ عنها حكمةُ الـ   كهانِ شلاءَ الدبيبِ ...
والسحرُ تفزعُـهُ طلا   سمُها فيمعنُ في الهروبِ
والشمسُ تخشعُ في ثرا   ها في الشروقِ وفي الغروبِ
آثارُ قومٍ أذهلوا الدُّ   نيـا بفنِّهمُ العجيبِ
وبما أفاءوا من ظلا   لِ المُلكِ والمجدِ الرحيبِ
وبما بنَوا للنيـلِ من   عزٍّ بموجتِهِ خضيبِ ...
النيـلُ ! مرآةُ النجو   مِ وكهفُ عالمِها الرهيبِ !
بل قصـةُ الشمسِ التي   تسلو بها شجنَ المشيبِ
وتذيبُ أحزانَ الأشعَّـةِ   فوقَها عندَ المغيبِ ...
وقصـيدةُ الشرقِ المعطَّـرةُ   المطهَّـرةُ الطيوبِ
جمعتْ على أنغـامِها   شتّى مُنًى وأسًى قلوبِ
وتنفَّستْ بالحبِّ بيـنَ   شذى رُبًى وهوى شعوبِ
النيـلُ ! غابُ الفاتحيـنَ   الصِّيدِ غيلانِ الحروبِ !

يا خَيْلَ « رَمْسِيسَ » اصْهَلِي   وَبِجَيْشِكِ العاتى أَهِيبِى
قُومِى اذكُرى أَهْوَالَ جُنْدِكِ فَوْقَ نيرانِ الشُّهُوبِ ...
يا سَيْف « إبْرٰهِيم » عُدْ   فَوْقَ الِحمَى أَمْضَى خَطِيبِ
فالْيَوْم يَوْمُكَ يا حَدِ   يدُ ، وَيَوْمُ فُرْسَانِ اللَّهِيبِ
يَوْمُ الِجبَالِ الزّاحِفا   تِ مِنَ المَنَايَا وَالكُرُوبِ
يَوْمٌ جَهَنَّمُ لَوْ رَأَتْـ   ـهُ لَرَاعَها هَوْلُ الْوَجِيبِ ...
فَقِفِى لَهُ يا « مِصْرُ » واصْطَرِعى   بِأَرْزَاءِ الْخُطُوبِ
ضُمِّى يدَيْكِ عَلَى الِجرَا   حِ وَأَلِفِى بَيْنَ القُلُوبِ !
وامْشى عَلَى الْبَأْسَاءِ سَا   خِرَةً بِأَهْوالِ الْحُرُوبِ
وامْضى ... فَتَاجُكِ فى السَّمَاءِ   مَنَارَةُ الْوَطَنِ الْحَبِيبِ
يا كَعْبَةَ الْأَحْرَارِ رَنَّ   هُتَافُ شَاعِرِكِ الطَّرُوبِ
« وَدَعَاكِ مَجْدُكِ فاسْتَجِيبِى   وامْشى لَهُ فَوْقَ اللَّهِيبِ »
« يا « مِصْرُ » يا أُنْشُودَةَ الدُّنْيَا   وَأُغْنِيَةَ الشُّعُوبِ !! »

(القاهرة)   محمود حسن اسماعيل
مراقبة الثقافة — بالمعارف

هذا العالم المجنون

للأستاذ يوسف أسعد

إلى السِّلْم يُدعى فلا يسمعُ   ويُعطى الكثير فلا يقنعُ
وتأبى سياستُه أن تعفّ   ففى كل غنمٍ لها مطمع
تدبُّ دبيب الكرى فى الجفون   ومن خلفها عقرب تلسع
وتصحو على الدّم ظمأى إليه   وبالدّم تحلم إذ تهجع
فلا قيمة عندها للعهود   ولا رحمة بالورى تشفع
ومن ألِفت نفسه الموبقات   فهيهات عن غيّه يرجع
لذا كان عدّته فى الحياة   وشاغلَه « التنك » والِمدفع
فللحرب أزواجها الأمهات   وأرحامهنّ وما تدفعَ
وللحرب ما يُنتج الزارعون   وللحرب ما يُخرج المصنع
ومن بعدُ فليُنكب الأبرياء   وتُنتزَع الهامُ والأذرع
ويكتسح الخوف دُور الأمان   فلا يستقرُّ بها مضجع
علا الأرضَ فى الجوّ فوق الخضم   ومن تحت أسلحةٌ شُرَّع
جنونٌ فشا فى جميع الجهات   فلم يخلُ من شرِّه موضع
وماضاقت الأرض بالساكنين   ولا غاض من رزقها منبع
ولو سبر الناس غور الأمور   لما فاتهم أيُّها الأنفع
ولكنها نزوةُ الفاتحين   طغى جارفاً سيلُها المترَع
فظيع من الناس سفك الدماء   وإصرارهم حدَث أفظع
وشرُّ الخلائق حوت يعبُّ   من البحر عبًّا ولا ينقع
وأفقدهم للشعور بصير   يمرُّ على الدّم لا يخشع
فيا مذكياً نارها فى الضلوع   وما لك فى نارها أصبع
إذا شَبِع الوَحشُ عفَّت يداه   وبالضدّ وحشك إذ يشبع
ستدرى فظاعة ما قد جنيت   متى سكن العاصف الزعزع

(المنصورة)   يوسف أسعد

البلبل

[مهداة إلى نجىّ « البلبل » الأستاذ حسين عفيف]

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

بُلبُلَ الوادى اسْتَفِقْ فالدّ   يكُ قد نَبَّهَ فَجْرَكْ
الربيعُ الطَّلْقُ قد آ   بَ وما بارَحْتَ وَكْرَكْ
والرِّياضُ الغِينُ قد أطْ   لَعْنَ للفِتنةِ زَهْرَكْ
وحَمامَاتُ الِحمَى ينْ   قلْنَ للأنسامِ شِعْرَكْ
والنسيمُ العَذْبُ قد أفْ   شى إلى العالَمِ سِرّكْ
عِطْرُكَ الُحبُّ ... فَصُبَّ الْ   آنَ فى الأرواحِ عِطْرَكْ !

* * *

بلبلَ الوادى تنبَّهْ ... !   لِمَ لا تُطرِبُ صُبْحَكْ ؟

رسالة الفن

متفرقات

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

من أيام الفاروق

احتفلت مصر يوم الإثنين الماضي بالعيد الدستوري للملك فاروق

وللملك فاروق فضل على الفنون الجميلة فيما له من أفضال على سائر نواحي الحياة في مصر . ومن أنصع أياديه البيض على الفن تشجيعه للتمثيل والشعر تشجيعاً ملحوظاً رائماً

وإني أسجل بالفخر لجلالته عدة حوادث لها دلالاتها المسعدة التي تنتمش بها نفوس الفنانين

أما الحادثة الأولى فقد كانت يوم وقف الفاروق في مقصورته بعد ختام الفصل الأخير من رواية « لو كنت حليوة » التي مثلتها أمام جلالته فرقة الريحاني في دار الأوبرا ، فقال جلالته لشعب الريحاني الذي هو من شعبه : « أرجو أن تكونوا جميعاً قد أفدتم من هذه الرواية ما يجب أن يفاد منها » ...

وقد كانت هذه الرواية تصور أخلاق نظار الأوقاف ، وبلايا المستحقين في الأوقاف ، كما كانت تعرض إلى جانب هـذا ألواناً من الدس الشنيع والتآمر الخاطئ في ثوب مكروه بغيض ...

فكان لكلام جلالته على أثر هذه الرواية معنى ، وكان من هذا المعنى أن جلالته يحب من شعبه أن يعدل إذا حكم ، وأن يزن الحق بقسطاس الله ، وألا يطلب الحق إلا طلباً صريحاً لأن الحق لا يطلب إلا صراحة ، والدس والتآمر للزور

وكان لهذه الحادثة بعد ذلك معنى آخر ، وهو إعجاب جلالته بفرقة الريحاني ، وهي الفرقة التي ظلت تعمل السنوات الطوال في صبر واجتهاد كانت تنتزع بهما صفوة المصريين نفراً نفراً وهم متحرجون من الاعتراف بالتفوق الفني « لكشكش » لا لشيء يحرجهم إلا أنه « كشكش » وليس « عطيلا » ولا « هملت »

ولكن بعد كلمة الملك رفع « كشكش » رأسه بالحق

وأما الحادثة الثانية فقد كانت تمثل فيها فرقة أنصار التمثيل والسينما رواية نسيت اسمها ولكني أذكر أن موضوعها كان يدور حول الصدق ، وأن أبطالها التزموا الصدق فيها يوماً من أيام المسرح ... وبين فصلين من فصول هذه الرواية تشرف الأستاذ سليمان نجيب بالمثول بين يدي الملك فسأله جلالته : « هل تستطيع

قُمْ إلى الدَّوْحِ وَغَرِّدْ   فَلَكَمْ هَدْهَدْتَ دَوْحَكْ
قُمْ إليه فَخُيوطُ الشمـ   ـسِ قد داعَبْنَ صَرْحَكْ
غَرِّدِ الآنَ فقد أَسْـ   ـلَمْتَ للأصداءِ نَوْحَكْ
بَلْسَمُ الأيَّامِ يا بلـ   ـبلُ قد مَرْهَمَ جُرْحَكْ
فعَلامَ الصمتُ والحزْ   نُ ووجهُ الأرضِ يَضْحَكْ ؟

***

الربيعُ الطَّلْقُ قد آ   بَ ، ولكنِّي مَهيضُ
لم يَضِقْ وَكْرِي وقد ضا   قَ بِيَ الكَوْنُ العريضْ
جَدْوَلُ الرحمةِ فيـه   أَوْشَكَ الآنَ يَغيض
نَضَبَتْ فيـه الأماني   بعد أن كانت تَفيض
إنَّ في الوَكْرِ هَناءا   تٍ يُلاشيها النُّهوض
أنا إن غَرَّدْتُ أو نُوَّ   حْتُ لن يَغْنَى القَريض

***

الربيعُ الطَّلْقُ قد آ   بَ فَمَنْ لي بربيعي ؟!
بَسَمَاتُ النُّورِ في عَيْـ   ـنَيَّ وارَتْها دموعي
وظِلالُ الراحةِ السَّمْـ   ـحَةِ مالت عن رُبوعي
وَنَهاةُ الطَّيرِ قد غَصَّـ   ـتْ بِمُهْراقِ النَّجيعِ
فدعوني صـامتاً أَدْ   فِنُ في الصَّمْتِ نزوعي
ما الربيعُ الحقُّ إلاَّ   خَفَقَاتٌ في الضُّلوعِ !

حسن كامل الصيرفي

أن تقول لى وأنت بطل من أبطال الصدق اليوم من هو الذى يصلح لأن يحكم مصر ؟ » فأجاب الأستاذ سليمان نجيب بقوله : « هو الرجل الذى تختارونه جلالتكم » ... وهى إجابة مؤدبة من الأستاذ سليمان نجيب، ولكن جلالة الملك كان من غير شك يريد فى ساعة الصدق هذه أن يسمع رأى رجل من الرجال المنتسبين إلى الفن ، والفن هو أصدق الصادقين ، وقد شرفه الملك بتوجيه هذا السؤال إليه ولكن ممثل الفن الذى تلق هذا السؤال كان مؤدباً

وأما الحادثة الثالثة فقد كانت فى حفلة من حفلات الجمعية الخيرية ، وقد ألقى فى هذه الحفلة الشاعر النابغة محمود حسن اسماعيل قصيدة ، فدعاه جلالته إلى مقصورته وحياه ولاطفه ، وكان محمود إذ ذاك لا يزال يتسلق المجد بمشقة وتعب ، فلما ظهر بإعجاب المليك به قفز إلى القمة ولم يعد شاعر فى مصر يستطيع اليوم أن يطاوله

من هـذه الحوادث نستطيع أن نقول إن لجلالة الفاروق فضلاً على الفن فيما له من أفضال ، فهو راعيه وهو موئله

الدكتور أدهم

اللهم ارحم الدكتور أدهم ، فقد كان يريد أن يعرفك ، وكان يريد أن يصل إليك ، ولـكنه ضل الطريق ، وكفاه شقاء أنه قتل نفسه حين ضل

وقصة الدكتور أدهم مأساة قد يحسن عندها الصمت الحزين ولكنى أوثر أن أقول فيها كلة لأنها فرصة مناسبة ــ وإن كانت مؤلمة ــ يمكن أن تقال فيها كلة من كلمات الإيمان والرضا

مما هو ملحوظ أن أغلب الذين ينتحرون علماء ومفكرون يجرهم العلم والتفكير إلى الإلحاد

ومما هو ملحوظ كذلك أن أغلب الفنانين يشقون فى حياتهم شقاء مريراً ومع هذا فهم لا ينتحرون وإنما يصبرون ، ويعيشون ، ويحتملون ولا يشكون

ومما هو معروف ثابت إلى جانب هذا وذاك أن الموت ضد الحياة ، وأنه لا حى يطلب لنفسه الموت

هذه حقائق كل منها مرئى على انفراد ، فإذا أطلقنا بعضها على بعض استطعنا أن نقول إن الفن يورث الإيمان والحياة ، وإن من العلم ما قتل كما يقول الأستاذ بشارة الخورى

فلماذا ؟

الواقع أن هذا يرجع إلى أن الفنان يرى بالتجربة أنه لا ينتج شيئاً يروقه هو ويعجبه إلا على عجز منه ، لا تدبير له فيه ولا إرادة .

ومن هذا يتعلم الفنان أنه فى هذه الدنيا مرزوق يعطيه الله ما يريد ، ومحروم يمنع الله عنه ما يشاء . وبهذا العلم يعيش الفنان ويصبر ويشيخ وهو يرجو السعادة وينتظرها ، بل إنه لينعمن بالسعادة فى أرذل أوقات الشقاء ، تلك الأوقات التى يراها الناس شقاء ، والتى يستشف الفنان فيها من لطف الله وكرمه وإحسانه ما لا يستشف غيره ممن ربطوا عقولهم على صنوف خاصة من الحاجات والنعم فهم لا يرون غيرها ، ولا يرضون عن غيرها ، بينما الحياة المجردة نعمة

أما رجال العقل والفكر ــ العقل الأوربي والفكر الأمريكانى ــ فأولئك الذين يكرهون الحياة لأنهم يحصرون تفكيرهم فى نوع خاص من الحقائق المجردة يريدون أن يعوها وعياً منطقياً معقولاً بينما هى أعز من أن ينالها هذا الوعى ، وبينما هى تتطلب ممن يحب أن يصل إليها أن يعزز عقله إذا ارتقى بخلق مرتق ، وبأفعال مرتقية ، وبحياة ينسجم فيها الارتقاء الإنسانى من كل نواحيه . وبهذا فقط تستطيع النفس أن تصل إلى الحقائق العليا

والعجيب أننا حين نحدث أصحاب العقل والفكر هؤلاء بمثل هذا الحديث يقولون لنـا : وما دخل الأخلاق والعبادات التى لا نعدها إلا شعوذات فى الوصول إلى الحقائق المجردة ؟ وأذكى ذكى منهم يسألنا قائلاً : هل يلزم أن أكون رجلاً فاضلاً كى أعرف أن المغناطيس يجذب الحديد ، وأن الأرض تدور دورة كاملة فى اليوم ، وأن لها قمراً واحداً بينما لزحل أو عطارد أكثر من قمر ... ؟!

وجوابنا على هـذا الذكى الأذكى هو أن الشر إذا لم يكن يؤذى نفس صانعه فإنه يؤذى نفس من يقع عليه ، فهو إذن شىء تكرهه النفس ، وهو إذن عدو لها ، فيجب على النفس التى تريد أن تعرف نفسها أن تتخلص أولاً من هذا الذى تكرهه ، عدوها الـكامن فيها ...

وبعد ذلك حين تعرف النفس نفسها ... وترى نفسها ... تستطيع أن تسأل : من أين هي ؟ وإلى أين هي ؟ وستعرف أنها من الله وأنها إليه راجعة ، كما عرف ذلك كل مؤمن ، وكل فنان ألهمه الله فنه . وبعد أن تعرف النفس نفسها تستطيع أن تعرف غيرها ...

رحم الله الدكتور أدهم مرة أخرى

وإني أعود فأنتهز هذه الفرصة لأنصح شبابنا الحائر وراء المعرفة بألا يغتر بعقله ، وبأن يعتمد في المعرفة على خلقه كما يعتمد على تفكيره

اللهم وفقنا جميعاً ، واللهم ارحمنا جميعاً . . . يا أرحم الراحمين يارب ... هداك

هل هو انتقام ؟

الأستاذ عزيز عيد من أشد الناس صبراً على المكاره ، فهو في أوقات المحنة لا يشكو ، ولا يكفر بالله ، ولا يتملق أحداً ، وإنما ينتظر ، ويظل ينتظر حتى يأتيه فرج الله من حيث لا يحتسب أو من حيث يحتسب

ولكن ليس معنى هذا أننا إذا كنا نملك إسعاد الأستاذ عزيز عيد أن نمسك عنه ما نستطيع أن نقدمه إليه لا لشيء إلا لأنه قوى النفس صلب الكرامة

لقد سمعت أن الأستاذ عزيزاً يفكر في أن يؤلف فرقة صغيرة يمثل بها في الاستراحات التي تتخلل الروايات في دور السينما

وهذا عمل كان يقوم به الفقير حسن بك ، كما كانت تقوم به فرقة الحلو البهلوانية وغيرها ، وإذا أقبل الأستاذ عزيز عيد على عمل كهذا فإنه لن يقوم به إلا لأنه رأى مجال الفن قد ضاق عنه

فهل صحيح أن مجال الفن قد ضاق في مصر عن عزيز عيد ، وفي مصر فرقة قومية ترعاها الحكومة وتنفق عليها ؟

إن هذا يكون صحيحاً إذا كان أقل فرد من أفراد هذه الفرقة له دراية فنية ، وتجربة مسرحية تفوق ما للأستاذ عيد

فهل تستطيع الفرقة القومية أن تدعي هذا ؟

إن كل ما يعيب الأستاذ عزيز عيد هو شدة طموحه الفني ، فهو لم يخرج من الفرقة القومية في هذه المرة إلا لأنهم عهدوا إليه بإخراج « مجنون ليلى » فأراد أن يكرمها ، وطلب من الفرقة أن تنفق عليها نفقات رأتها هي باهظة فأمسكت عن إنفاقها

ولقد كان من الممكن أن تقف المسألة عند هذا الحد ، ولكنهم شاءوا في الفرقة القومية أن يشملوا عزيزاً فلم يعتذروا له بالفقر وإنما سخفوا فكرته ، فتحمس هو لها ، فاتسعت شقة الخلاف بينهما ، فانفصل الأستاذ عن عمله

وإني أتجه الآن بهذه الكلمة للشاعر الفنان الأستاذ خليل بك مطران . ولا أريد أن أزيد . . .

عزيز أحمد فهمي



الوضع الحقيقي لمشكلة

جابر بن حيـــــان

للأستاذ أحمد زكي صالح

تقرير الأستاذ رسكا Ruska [١]

يتساءل الأستاذ رسكا : كيف وأين نظمت وألفت هذه الكتب المنسوبة إلى جابر ؟ هل هي أعمال فرد واحد أم من أعمال مدرسة ؟ هل حدث تأليفها وتطورها وتقدمها في مدى وقت قصير أم انتشر على بساط قرن كامل ؟ كل هذه أسئلة لا زالت أجوبتها غامضة ، بل قل لا زالت غارقة في بحر من الغموض والإبهام

وتلك النصوص التي نشرت بإشراف الأستاذ هوداس [٢] لا تكفي تماماً كي نصدر حكما صحيحا على مميزات أدب جابر بن حيان الكيميائي

ويجب أن أعترف أن « كتاب الرحمة » بمحاوراته المضحكة بين جابر بن حيان وجعفر الصادق ما هو في الحقيقة إلا قصة ملفقة ، و « كتاب الملك » يفشي سر نفسه بنفسه حينما يرجع أصله إلى جعفر الصادق ، وبعض النتائج يمكن استنتاجها في شأن « كتاب الموازين » لأنه عنوانات بعض أعمال أرسطو في المنطق التي ابتدأت معرفة العالم الإسلامي لها بعد أواخر القرن التاسع من الميلاد. ولكن إذا سلمنا بصحة نقد هذه الكتب الثلاثة، فهل يؤثر هذا بقليل أو كثير في المشكلة ككل ؟ وبالأحرى هل يمكن أن نفصل المؤلفات الكيميائية مسلمين بأنها من عمل جابر عن قائمة الفهرست الثانية [٣] ؟ أليس من المعقول أن مؤلف الكتب الكيميائية ينتمي إلى زمن وإلى بيئة مدرسية يختلفان كل الاختلاف عن هؤلاء الذين ألفوا الكتب الطبية والفنية والرياضية والإلهية ؟

(١) نشرت هذه المخطوطات بإشراف هوداس في كتاب الأستاذ برتلو Berthelot : Traité d'alchemié arabe

(٢) Ruska. J. : The history of Jabir Problem Islamic culture 1937 P. 303 — 312

(٣) هذه القائمة ذكر فيها ابن النديم أعمال جابر في غير الكيمياء كالعلم الالهي ، والطب ، والفلسفة ، والمنطق ... الخ

من الجلي الواضح أن ذلك الذي يستطيع الأخذ بيدنا إنما هو البحث خلال المخطوطات التي عثر عليها أخيراً ، وإني لموفق إذ استطعت الحصول بمساعدة الأستاذ ماكس مايرهف Max Mayerhof لا على صور للنصوص العربية للسبعين كتاباً التي ذكرها ابن النديم فحسب ، بل أيضاً على بعض النصوص غير المعروفة ككتاب « السموم » و « الملك النوعي » وغيرها من المؤلفات التي جمعت لأجل « مجمع برلين للدراسات الطبيعية »

وهذه المؤلفات قد فتحت مدى أوسع في الأبحاث في هذا الموضوع لم يتحقق من قبل ، فكتاب السموم أصبح اليوم أمنع من أن يناله هجوم ، وهو يبين مقدار معرفة جابر الطبية، أما الفصول المتعددة من كتاب « الخواص النوعية » فيمكن النظر إليها على أنها مقتطفات من كتب مختلفة المقرر أن جابر كتبها في هذا الموضوع ، ويمكن أن نقول إن كثيراً من البحث والاجتهاد يحتاج إليه ذلك الذي يريد الكشف عن حقيقة هذه المؤلفات والإجابة على السؤال الآتي : كيف جاءت مؤلفي هذه الكتب فكرة نسبة هذه المؤلفات إلى الإمام جعفر الصادق [١] أو تلميذه المدعى جابر ... نقول إن الإجابة على هذا السؤال تقهقرت كثيراً ...

وأولى الملاحظات التي يمكن استفادتها من نتائج أبحاث مجمع برلين في النصوص العديدة هي : أن ارتباط الحقائق المختصة بالكيمياء وعلم البحث عن الصنائع technologie والطب لازم كما هو في نفسه ولكنه لا يعين ولا يقدر الغرض الأخير لهذا الأدب ؛ إذ أن كل التفاصيل العلمية إنما تتحرك في اتجاه مذهبي واحد ، وأن المتأخرين هم الذين أعطوها المعنى والتحقيق . والسبب الفلسفي هو نقطة البدء في هذه المؤلفات كلها ، وهذا السبب الفلسفي إنما ترجع إليه قيمتها ، وكثيراً ما كان يتكرر بشكل يقيني في هذه الأعمال أن العلم لا يمكن أن يكون إلا إذا كانت هناك نظرية خاصة يضعها نصب عينيه . وهذه المشكلة تمت لأول

(١) جعفر الصادق إمام للسنية عاش على ما نعتقد في أواخر القرن الأول وأوائل الثاني للهجرة ، ونظن أنه مارس الصنعة أعني الكيمياء ، ولقد كان علاوة على ذلك متكلما شيعيا ، صوفيا ، زهديا دينيا . كما يقال إن جابر بن حيان تتلمذ عليه في الكيمياء .

وهلة لمشكلة السببية . وتبعاً لذلك فإن مفهوم « الميزان » الذي يعد من أهم مميزات مؤلفات جابر بن حيان ، ونظرية الخصائص النوعية للأشياء المتعلقة بمدى التحول الكيميائي يعتمدان على أسس عددية دقيقة

وربما لا يبدو هذا في الكيمياء الحديثة شيئاً يذكر ، ولكن العجيب حقاً هو ذلك التيار الذي واظب عليه العقل البشري ، واجتهاده في تبيان أن القانون الطبيعي إنما يعتمد في أساسه على أسس عددية ثابتة . ونحن أصبحنا اليوم ، بعد هذه الأبحاث ، نعتقد أنه نجح تماماً فيما كان يصبو إليه ؛ فإن قانون الأعداد هذا في نظر جابر بن حيان يضع كل شيء في الوضع الحقيقي له في العالم

ودراسة بعض النصوص التي ذكرت آنفاً تقودنا خطوة أخرى نحو الغرض الفلسفي البحث لهذه الأعمال . أقول إن هذه الدراسة تقودنا خطوة أخرى حين تطلعنا على الصلات والعلاقات بين هذا الغرض الفلسفي وبين النظريات الجارية في العلم الإلهي التي هي الغرض والغاية النهائية الحقيقية لهذا الأدب الجابري

فالنظريات العلمية التي احتوت عليها هذه المؤلفات قيل إنها ليست شيئاً آخر غير معلومات محمد « صلى الله عليه وسلم » و « على ابن أبي طالب » وأستاذ جابر « جعفر الصادق » ، وهذه الخرافة تذهب إلى حد أنها تفسر بعض نصوص القرآن على ضوء الكيمياء كما ينسب لدى بعض المحاضرات في موضوعات كيميائية ، وفي بعض هذه النصوص يظهر بعض المذاهب التي تتفق تماماً وما تقول به فرقة الاسماعيلية (١) من الناحيتين الفلسفية والعملية ، ومن ثنايا أفكار هذه المدرسة الدينية التي رئيسها وإمامها وأستاذها الإمام جعفر ، يمكن أن يفهم المعنى الكامن في نظريات جابر ابن حيان ، وهذه الحقيقة تثبت عرضاً أي في كل هذه المؤلفات إنما ترجع أصولها إلى النصف الأخير من القرن التاسع أو النصف الأول من القرن العاشر الميلاد أي القرنين الثالث والرابع من الهجرة ، أو قل في ذلك الوقت الذي بلغ فيه الإسلام الذروة في هضم الفكر اليوناني ، وهكذا يمكن أن ترد تلك الثروة العلمية والفكرية التي توجد في مؤلفات جابر بن حيان .

مناقشة رأي الأستاذ رسكا

الأستاذ رسكا في نقده لكتب جابر الثلاثة : الرحمة ، الملك ، الموازين، لا يحتاج لكثير عناية لتفنيده، إذ أن رسكا يتناول الموضوع من ناحية سلبية بحتة ، مثل الأستاذ رسكا في ذلك كمثل اثنين يتحاوران، بعد أن عرض أحدهما رأيه قال له الآخر كلا إنك مخطىء وتركه ومضى في طريقه ، فهو لم يبين له لماذا هو مخطىء وما هو صواب هذا الخطأ، كذا الحال في نقد رسكا لهذه المؤلفات الثلاثة ، فهو يقول إنها ليست لجابر بن حيان ، فهل ينتظر منا الأستاذ رسكا أن نحني هاماتنا لرأيه سامعين طائعين مختارين ؟ وحتى هبني سلمت بصحة هذا النقد الضعيف فأي قيمة تكون له في إخراج هذه الكتب الثلاثة عن دائرة مؤلفات جابر الكيميائية وهي تبلغ سبعين مؤلفاً ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الأستاذ رسكا في القسم الثاني من كلامه ينحو نحو الجدليين ، إذ أنه يلتجىء إلى أسلوبهم وأعني بذلك أسلوب « المعقول وغير المعقول » .

إن الأستاذ رسكا عالم له أسلوب العلماء وطبعهم وروحهم ونحن لذلك نسمو به عن أسلوب الجدل ، إذ أن العلم ليس أمامه معقول وغير معقول ، إنما أمامه حقائق يسلم بها ، أو لا يسلم بها ، حقائق يبرهن على وجودها أو يبرهن على عدم وجودها ، فالقول بأنه من المعقول أن تفصل كتب جابر الكيميائية عن غيرها قضية كاذبة علمياً ، هـذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : هل نسي الأستاذ رسكا أن التفكير الإسلامي كان في هذه المرحلة الزمانية أو الفكرية تفكيراً عاماً شاملاً أي تفكير encyclopodique ، وأن التخصص في التفكير وفي البحث لم يعرف في الإسلام إلا بعد ذلك بقرن من الزمان على الأقل ؟ ؟

أما القسم الثالث من رأيه وهو تفسير الانتحال لجابر بن حيان فهو يستعيره من أبحاث مجمع برلين ، وسنتركه الآن ونعرض هذه الصورة بشكل أوسع لدى الأستاذ ب كراوس P. Kraus الذي كان مساعداً بهذا المجمع إذ ذاك

رأي الأستاذ كراوس P. Kraus (١)

يرى الأستاذ كراوس أن هذا الأدب العظيم يبين لنا كل مادرس في الإسلام من العلم اليوناني لا يمكن أن يكون بأية حال من عمل مؤلف واحد ، ولا يمكن كذلك أن يصعد إلى النصف الثاني من القرن الثاني من الهجرة ، إذ أن جميع الظواهر التاريخية تدلنا على أن هذا الشكل corpus كان من إنتاج أخريات القرن

(١) الاسماعيلية فرقة شيعية وجدت في القرن الرابع الهجري، ولا زالت موجودة إلى اليوم في الهند

(١) انظر ملحق دائرة المعارف الاسلامية : Ency. de l'Isl. article : D. Jabér par P. Kraus 1934

الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع

وإن كتابات جابر بن حيان لتضع لنا بادىء ذى بدء أساس مشكلة دينية تاريخية، فكما أن الكيميائين القدماء قد اتجهوا إلى الأجنوزية المسيحية[1] La gnose chrétienne كذلك جابر يقدم فى مؤلفاته العلمية أجنوزية الإسلام ، ولم تكن آراء جابر ابن حيان كتلك الآراء الساذجة الأولية التى وجدت فى محيط الشيعة فى القرن الثانى من الهجرة، إنما كانت أقرب إلى تلك التى كان يتردد صداها فى محيط غلاة الشيعة فى القرن الثالث من هجرة الرسول . وهذه الآراء كانت ذات صبغة سياسية وثورية خطيرة عرضت الإسلام نفسه للخطر ، إذ أن جابراً أعلن قرب قيام الإمام المنتظر الذى سيبطل حكم الإسلام ويحل محل القرآن نور العلم والفلسفة الإغريقيين ، وكان محل عرض هذه الآراء هو نظريات جابر فى مؤلفاته حيث عرض هذا الوحى الروحى الخالص الجديد والذى أوحى به الأئمة العلويون

ووجهة نظر جابر بن حيان فى العلم الإلٰهى تقترب من القرامطة الذين ابتدأوا يلعبون دورهم فى العالم الإسلامى منذ سنة ٢٦٠ هـ . ودرجات العلم مقسمة عنده نفس التقسيم الموجود عند القرامطة والاسماعيلية

ونظرية امتداد الأمامية قد تقدمت بنفس الخطوات التى تقدمت بها الأمامية ، فالأماميون يقسمون تاريخ العالم من حيث الوحى إلى مراحل سبع يكون آخرها بعث الإمام الجابرى ، وعلى ذلك فإن الأئمة الذين تبعوا علياً ، حتى الإمام القائم الجديد يكون عددهم سبعة وهم على التوالى : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعلى بن الحسين بن محمد الباقر وجعفر الصادق واسماعيل الإمام المنتظر أو القائم . ونحن نلاحظ أن جابراً فى تعداده للأئمة على عكس القرامطة والاسماعيلية لم يعتبر علياً إماماً من هؤلاء السبعة ، وأن هذا السانيت ، الذى يسمو عن الناتيك هو الذى يكون به تجسد الأئمة السبعة الأرضى ، وفى هذه النظرية يقترب جابر من تلك التى يقول بها النصيرية[2] الذين يعتقدون أن هناك ثلاثة أقانيم : « ع » أى على ، « م » أى محمد « س » أى سلمان ، والسين فى نظر جابر سابقة ومتقدمة على الميم ، وفى هذا المذهب يسمى الإمام جعفر « بالإمام الجيد » أو « اليتيم » الذى له تفضيل مباشر على « ع » كما أن له الحظوة على « م » ، « س » . وهنا يقبل جابر القول بنظرية التجسد empsycose والتناسخ والأدوار ، والإكرار ، والنسخ ، والفسخ ، والمسخ .

وإن جابراً ليعلن على رؤس الأشهاد أن علمه إنما هو وحى أستاذه جعفر الصادق ، وإلى هذا « المنبع من الحكمة » même de sagesse ترجع كل معرفة جابر ، وما هو إلا جامع ومعلق على مؤلفات أستاذه . وربما كان ذلك راجعاً إلى أن جابراً نفسه يأتى فى التسلسل الدينى فى مرتبة تلى مرتبة جعفر الصادق مباشرة ، أضف إلى ذلك بعض أساتذته مثل حاربى حميرات ، أرهون الحمار ، جعفر البرمكى . ولكن نحن نرى أن كل هذه التأكيدات ما هى إلا افتراءات باطلة إذ أنها متناقضة تماماً مع ما كتبه جابر نفسه فى مؤلفاته . وعلى ذلك فإن تلميذ جعفر الصادق المسمى جابر بن حيان يظهر أنه محض اختراع ، ونحن ندرك تماماً لماذا تنسب كتب كهذه إلى الإمام جعفر الصادق الذى يعتبر فى الأدب الشيعى خير مصدر للعلم اليونانى وخاصة للعلوم السحرية ولعلم الفلك ، أضف إلى هذا كله أن جعفر هذا والد الإمام السابع إسماعيل الذى نص على ظهوره فى هذه المؤلفات

ويشير الفهرست إلى بعض الشك الذى يخالج نفراً من الشيعة المعاصرين لأحد أصحابه فى صحة نسب هذه الكتب لمؤلفها[1] ، وثمة رجل آخر هو أبو سليمان السجستانى المنطقى، يذكر فى كتابه « التعليقات » ملاحظة يستنتج منها أنه هو نفسه يعرف المؤلف الحقيقى للكتب التى تنسب لجابر بن حيان ، ويسمى أبو سليمان باسم الحسن بن النقاد الموصلى ، ولكن على رغم هذه الرواية فإننا نعتقد أن مؤلفات جابر لا يمكن أن تكون من إنتاج رجل واحد رغم تطور التفكير المنسجم فيها . ونحن نعتقد كذلك أن هذا التفكير لم يصل إلى هذا الحد الذى وصل إليه إلا فى سنة ٣٣٠ هـ .

(البقية فى العدد القادم) أحمد زكى صالح

(١) الاجنوزية Gnosticisme هى مذهب دينى فلسفى ، يدعى أصحابه أنهم على معرفة تامة وكاملة بطبيعة الله وصفاته .

(٢) هم أتباع ناصر بن خسرو ، فرقة متكلمة

(١) نص عبارة ابن النديم فى الفهرست : « وقال جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين إن هذا الرجل يعنى جابراً لا أصل له ولا حقيقة ، وبعضهم قال إنه ما صنف ... الخ » ولكن ابن النديم يسفه هذا الرأى ولا يأخذ به كما سيأتى بعد .



١ — اقتطف !

قرأت سؤال الأخ الفاضل « رشاد عبد المطلب » ، وكنت أرجو أن أكون مخطئاً ، كي أقرّ له بخطأ ما جاء في قولي : « وجعل يقتطف منها حيث أراد » ، وذلك لحسن أدبه ، ولطف سياقه

والقول في « اقتطف » إنها خطأ ، وإنها لم ترد في كتب اللغة : كاللسان والأساس والقاموس والنهاية والمصباح ... إلى آخر هذه الجملة — قول قديم، قد ذهب إليه المتأخرون من فضلاء المشتغلين باللغة في عصرنا وما قبله بقليل

ولو لم يرد هذا الحرف في اللغة لوجب أن يوجد للغة وجوباً بيانياً من عدة وجوه، وليس هذا موضع تفصيل ذلك ولا هذا أوانه. وأنا لا أستطيع الآن أن أقف في الطريق لأتلفت إلى ما ورائي مما قد مضى زمنه . وإذ كان لا بد في إقامة الدليل على صواب هذا الحرف ، من شاهد عربي ، فنحن نأتي به ، وذلك من قول نابغة بني شيبان « عبد الله بن مخارق » :

تسبي القلوب بوجه لا كِفاء له ... كالبدر تَمّ جمالاً حين ينتصف

تحت الخمار لها جَثْل تمكّفه ... مثل المثاكيل سوداً حين تقتطف

لها صحيفة وجه يستضاء به ... لم يعل ظاهرها بثر ولا كلف

وفي قديم الشّعر من الرجز ما أحفظه ولا أثبت موضعه : « يقتطِفْنَ الهاما » ، يصف السيوفَ . وبيت النابغة كافٍ في الدلالة والشهادة ، وأدع ما وراء ذلك لمن يجعل همّه اقتناص الكلمات الهاربة من معاجم اللغة

وما دمنا في ذكر شاهد من شعر نابغة بني شيبان ، نقول : إن أبا الفرج الأصفهاني زعم أنه نصرانيّ ، لأنه زعم أنه وجده في شعره يحلف بالإنجيل والرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى ، وذلك كله وهمٌ فاسدٌ ، استغرّ به صاحب شعراء النصرانية لويس شيخو اليسوعيّ ، فاحتمله فيمن احتمل من شعراء العربية . وشعر النابغة ليس فيه حرفٌ واحدٌ مما زعم أبو الفرج هذا ، وأبوه « مخارق بن مسلم الشيبانيّ » صحابيٌّ جليلٌ روى له أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٢٩٤ ، والنسائي ج ٧ ص ١١٣ ، وروى عبد الله (هذا الشاعر) وأخوه « قابوس بن مخارق » عن أبيهما . وكان عبد الله يكثر رواية الحديث ، ثم انصرف إلى الشّعر ، وله في انصرافه إلى الشّعر خبرٌ .

٢ — باريس !

قرأت في عدد الرسالة الماضي كلمة يذكرني فيها صديقنا الأخ « زكي مبارك » ويزعم أنه قرأ في « الدستور » كلمة بإمضائي ، عدها هو تعقيباً على المقال الذي نشره في « الرسالة » بعد سقوط باريس تحت أيدي الألمان

ولو أحسن الدكتور زكي فأخرجني من عداد من ذكر لكفى نفسه مؤونة الفكر في أني أتعقب كلامه . ولو كان ما قاله الدكتور زكي صحيحاً لكان للسان مقال غير الذي قلت . والذي كتبته كان حديثاً عاماً لم أرد به أحداً بعينه وخاصته ، وكثير غير الدكتور بكى باريس وناح ، فكيف يريد أن يخص نفسه دون سائر من أعول على هذه المدينة ؟

وإذن فسائر ما جاء في كلمة الدكتور زكي ليس يعنيني ، ولا هو مما أستطيع أن أشتغل به ، والمذهب الذي يجري فيه الدكتور غير مذهبنا ، وبينهما من الفرق ما يوجب عليّ أن أصرف خطابه — في هذا المكان من الرسالة — إلى من شاء غيري . وللدكتور مني تحية ، وعليه سلام .

محمود محمد شاكر

ملاحظات علمية

١ — كثيراً ما أجد فيما أقرأ من المباحث التاريخية مطاعن في بني أمية منقولة عن المسعودي ، وينسى هؤلاء الباحثون (ومنهم من هو عميد كلية أو أستاذ في جامعة) أن المسعودي على جلالة قدره ورفعة مكانه بين المؤرخين لا يحتج به في مثل ذلك ، لأنه شيعي متهم ببغض الأمويين والطعن فيهم . وقد نص على شيعيته الأستاذ الكبير آل كاشف الغطاء في رسالته أصل الشيعة وأصولها ؛ كما أنه لا تقبل رواية السني المتعصب في الطعن على الشيعة ، وهذا معروف عند العلماء

٢ — ذكر الأستاذ أحمد أمين في فجر الإسلام (ص٢٤٨) دليلاً على كثرة الوضع في الحديث أن البخارى اختار كتابه الصحيح وفيه سبعة آلاف حديث منها نحو ثلاثة آلاف مكررة من ستمائة ألف حديث كانت متداولة في عصره

وهذا الدليل مردود من وجوه :

أولها — أن البخارى لم يستوعب الصحيح كله في كتابه ، وروى عنه أنه قال : ما أدخلت في كتابي إلا ما صح وتركت من الصحاح لملال الطول ، وقد استدرك الحاكم أبو عبد الله على الصحيحين شيئاً كثيراً تكلم في بعضه وسلم أكثره

ثانيها — أنهم كانوا يعدون الحديث الواحد حديثين إذا كان له سندان وروى من طريقين ؛ ومن هنا جاءت هذه الأعداد الكبيرة . ذكر ذلك ابن الصلاح

ثالثها — أنهم كانوا يدرجون تحت اسم الحديث آثار الصحابة والتابعين . ذكره ابن الصلاح أيضاً

علي الطنطاوي

رأى الأستاذ أحمد أمين في واضع علم النحو

المعروف بين جمهور النحاة أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي ، ولكن دائرة المعارف الإسلامية تخالف جمهور النحاة في ذلك ، وترى أنه ليس حقاً ما يقال من إن أبا الأسود الدؤلي واضع أصول النحو العربي (دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٣٠٧) وقد ذكر صديقي الأستاذ محمد طنطاوى المدرس بكلية اللغة العربية في كتابه نشأة النحو (ص ١١) أن الأستاذ أحمد أمين أراد أن يوفق بين الرأيين ، وأن يتلمس وجهاً لنسبة وضع النحو إلى أبي الأسود الدؤلي ، فقال في كتابه ضحى الإسلام (ج ٣ ص ٢٨٦ وما بعدها) : ويظهر لي أن نسبة النحو إلى أبي الأسود لها أساس صحيح ، وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط ، وهو أنه ابتكر شكل المصحف ، وواضح أن هذه خطوة أولية في سبيل النحو ، تتمشى مع قانون النشوء ، وممكن أن تأتى من أبي الأسود ، وواضح كذلك أن هذا بلفت النظر إلى النحو فعمل أبي الأسود يسلم إلى التفكير في الإعراب ، ووضع القواعد له ... وأن هذه الأمور لما توسع العلماء فيها بعد ، وسموا كلامهم نحواً ، سحبوا اسم النحو على ما كان قبل من أبي الأسود ، وقالوا إنه واضع النحو ، للشبه في الأساس بين ما صنع وما صنعوا وربما لم يكن هو يعرف النحو بتاتاً ، ثم رأى بعد كلام طويل أن واضع النحو الذي نعرفه إنما هو الخليل بن أحمد

وكأني بالأستاذ أحمد أمين قد خيل إليه أنه أتى في هذا الرأى الأخير بالقول الفصل في واضع علم النحو ، مع أن الأمر قد اشتبه عليه في ذلك اشتباهاً ظاهراً ، لأن أصل الخلاف في واضع علم النحو إنما هو في أصوله الأولى ، لا في هذا النحو الذي نعرفه ؛ لأنه لا يمكن أن يختلف أحد في أن هذا النحو الذي نعرفه يرجع إلى كتاب سيبويه ، وقد أخذ سيبويه كتابه عن الخليل ابن أحمد ، بل قيل إن هذا الكتاب للخليل لا لسيبويه ، فليس بشيء بعد هذا أن يقال إن الخليل واضع هذا النحو

وقد ذكر الأستاذ محمد طنطاوى في كتابه نشأة النحو (ص ٣٠) أن عيسى بن عمر الثقفي — وهو من الطبقة الثانية والخليل من الطبقة الثالثة — ألف كتابين في النحو : أحدهما مبسوط سماه الجامع ، والآخر مختصر سماه الإكمال ، وأن الخليل قال في إطرائهما :

ذهب النحو جميعاً كله ... غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع ... فهما للناس شمس وقمر

ويؤخذ من هذا أن اسم النحو كان معروفاً قبل الخليل ، وأن كتباً جامعة ألفت فيه قبله ، فكيف يقتضب الأستاذ أحمد أمين ذلك كله ؟ (...)

قصتان والفكرة واحدة

قرأت في العدد الماضي من الرسالة كلمة بهذا العنوان للأديب حسين الجوفي بدمنهور ، يقول فيها : إن فكرة قصتى « من أدباء الجيل » المنشورة بالعدد ٣٤٥ من الرسالة تشبه قصة للأستاذ محمد أبو طائلة عنوانها « الشهرة » نشرت بالعدد ٤٩٨ من مجلة كل شيء والدنيا « وإن اختلف الأسلوب والعنوان وبعض الحوادث الثانوية »

وأحسب أنه مما يهم قراء الرسالة أن يعرفوا أنني لم يكن لي حظ قراءة تلك القصة المشار إليها حتى اليوم ، وقد تكون الفكرة في القصتين واحدة — كما يقول الكاتب — أو لا تكون ؛ ولكن ذلك لا يطعن في عمل أدبي لم أستلهمه إلا من وجداني الخاص لحادثة بعينها قد يكون مثلها مما مر على الأستاذ أبو طائلة

فى بعض أيامه ، فألهمه فكرة قصته وألهمنى .. وإذ كان الأمر على ما زعمتُ — وعلى ما يؤكد الكاتب من احترامه لأدبى وتنزيهه عن الانتحال — فإنى أحسب أن ذلك خارجٌ عن نطاق ما يسميه « الرقابة الأدبية » ، ولا معنى معه للحديث عن السابق والمسبوق

وثمة بديهية أخرى يعرفها كل من عالج فن القصة دراسةً أو عملاً ، هى أن الفكرة الواقعية فى القصة غيرُ القصة نفسِها ؛ وخاصة حين تكون فكرتها منتزعة من الحياة العامة التى يحسها كل من يتصل بها من أبناء الجيل . ولا حاجة بى إلى تعداد الحوادث التى تقع كل يوم فى حياتنا الأدبية العامة مما يصلح أن يكون كل منها موضوعاً لمثل قصة « من أدباء الجيل » . وأدع تفصيل ذلك لموضعه من كتاب « الأدب المنحول » الذى أرجئ نشره حتى تأذن الرقابة الأدبية العامة !

محمد سعيد العريان

من الشعر المنسى لحافظ

« لما أخرجت وزارة المعارف ديوان المرحوم حافظ إبراهيم ، لاحظ كثير من الأدباء أن قصائد عدة للشاعر الكبير نسيت فلم تدرج في هذا الديوان ؛ وقد نشر بعضهم شيئاً من هذه القصائد فى الرسالة الغراء ، ويسرنى ونحن فى الذكرى الثامنة لحافظ أن أذكر للقراء مقطوعة من شعره فى وصف الطيارة لم تنشر فى ديوانه »

قال رحمه الله :

يجرى بسـابحة تشـقُّ سبيلها شقَّ الإزار
وتكاد تقدح فى الأثيـر فيستحيل إلى شرار
مثل الشهاب انقضَّ فى آثار عفريت ، وطار
فإذا علت فكدعوة الـمُضْطَر تخترق السّتار
وإذا هَوَتْ فكما هَوَتْ أنثى العُقاب على الهزار
وتُسِفُّ آونة ، وآ ونة يحيد بها ازورار
فيخالها الراءون قد قرّت ، وليس بها قرار
لَعِبَ الجواد أقلَّ لَيثـاً من قُضاعة ، أو نزار
أو كالقَلوب من الحما م فوق ملعبه استطار
وكأنها فى الأفق حيـن يميل ميزان النهار
والشمس تلقى فوقها حلل اصفرار واحمرار
مَلَكٌ تُمثله لنا السـما فيأخذنا انبهـار

« البجلات » أحمد جمعة الشرباصى

الدكتور اسماعيل أحمد أدهم

روت الصحف المصرية ـ نكبر نافه ـ موت فقيد العلم والأدب الدكتور اسماعيل أدهم الكاتب الناقد المعروف نجل أحمد بك أدهم الضابط التركى وحفيد أدهم باشا وزير المعارف التركية سابقاً .

وقد عرفه قراء (الرسالة) شارحاً لنظرية النسبية لأينشتين، ومساجلاً المرحوم فليكس فارس عن الشرق والغرب ، وأخيراً مناقشاً للدكتور بشر فارس فى كتابه (أبحاث عربية) كما طالع له قراء (الرسالة) بعض أبحاث متفرقة آخرها (عام الفيل) الذى اشتغل بالرد عليه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

ويغلب على أبحاثه الصبغة العلمية الجافة، فإذا أضيف إلى ذلك ضعف بيانه العربى عرفنا جهل الكثيرين بعلمه وأدبه ، لأنه لم يكن له أسلوب جزل يخلق المحبين ، إذ أن الناس بطبيعتهم يصدفون عن الحقائق الجافة التى لا يموهها الخيال ، لذلك كان محرر مجلة المقتطف يراجعه راجياً فيما يكتبه لها زيادة الإيضاح، وكان يشكو لى من ذلك الدكتور أدهم . ومن هذه الناحية أيضاً حيث موطن ضعفه ، كان يغزوه الأستاذان فليكس وبشر فى مساجلاتهما معه

وعرفه قراء المقتطف من أبحاثه المتوالية التى كان يوالى نشرها فيها ، آخرها دراسته طيلة هذا العام لخليل بك مطران. وهى دراسة لا يسلك فيها طريقة التراجم المعروفة، بل الدراسة التمحيصية الاستقرائية على الطريقة الاستشراقية ، لذلك كانت فريدة فى العربية ، وعدها بعض المستشرقين ثروة أدبية ، وقال فيها الرافعى : (دراسة لا أشك لحظة فى أنها لو وجهت وجهة صحيحة لقومت النقد العربى) وقال فيها بشر فارس (دراسة تعتمد على الاستقراء والتثبت أكثر مما تعتمد على الظن والتخمين) وقال فيها سلامه موسى. (لو أردنا أن نجازى فناناً لحق لنا أن نجازى الدكتور أدهم بأكرم مما يجازى به عالم فنان) ومما أذكره أن الدكتور أدهم كتب غير مرة فى المجلة الجديدة التى كان يصدرها الأستاذ سلامه موسى ، وعرّفه الدكتور أبو شادى بأنه أكثر من شخصية ، ومما أعرفه أنه كان من أول المكتشفين لشخصيته العظيمة ، فشجعه على المضى فى أبحاثه وأفسح له صدر مجلاته التى كان يصدرها ، رغم تطرف رأيه وحرية فكره حرية غير معهودة فى حياتنا الأدبية ، ومن أهم ما نشره رسالته (لماذا أنا ملحد) التى رد عليها الدكتور أبو شادى برسالته « لماذا أنا مؤمن » ، والتى شغلت الكثيرين من رجال الدين وقتاً غير يسير . ونشرت



رجلان وامرأتان

للأستاذ محمد سعيد العريان

لم يكن من طبيعتها الزهو والمباهاة ، ولكنها تشعر الليلةَ بين لِداتها وصواحبها أنها قد بلغت مرتبةً من حقها أن تُزهى بها وتفتخر ؛ إنها خطيبة « سامى » ، وهذا خاتم الخطبة فى إصبعها يزهو ويتألّق شعاعه ؛ وأى صواحبها لم تعرف « سامى » أو تسمع به ، وإنه من الشهرة وذيوع الصيت حديثُ كل فتًى ونجوى كل فتاة !

وراحت « رشيدة » تخطر بين رفيقاتها تتقبل التهانى وتوزّع الابتسامات مغتبطةً سعيدة ، لا تكاد تستقر على مقعد من خفة الفرح ونشوة المسرة ...

... ثم انفضّ السامر وخلت « رشيدة » إلى نفسها تحلم بما كان وبما يكون ، وتتهيأ لليوم السعيد المنتظَر !

* * *

فتى فى ربيع العمر ، لم يفتنه الشباب ولم يبطره الغنى ، تنوّر أملاً بعيداً فمضى يشق الطريق إليه فى عزم وقوة ، وبلغ ؛ وبرز اسمه فى الطليعة من أدباء الجيل ولم يزل فى أوّل الطريق ، وذاع اسمه كما ينفذ شعاع الصبح فتكتحل كلُّ عين من نوره ويصحو كل نعسان ؛ وشدَت القمارِىّ بأغانيه فى الرياض ، وهتفتْ بها المذارى ، وتغنّى الفِتيان ...

... ودُق الجرس ذات مساء فى دار رشيدة ، وجاء سامى يخطبها ... ، وتوافد لِداتها وصواحبها يهنئنها ويتمنَّين لها ...

... وراحتْ تتخيّل نفسها إلى جانبه يمشيان ذراعاً إلى ذراع تحدّثه ويصغى لها ، والناس تهتف باسمها واسمه ، والعيون تتبعهما حيث يتنقلان من روضٍ إلى روضٍ فى طريق مفروش بالزهر ، والأصابع تشير إليهما فى همس : أثنه لَهُوَ ، وإنها ...

ولذّها الُحلمُ السعيد ، فطارت بغير جناح تحلّق فى وادى المنى سكرَى !

وتتابعتْ على عينيها صُور ؛ وأفاقتْ من سكرتها مذعورة

لأول مرة فى مجلة «الإمام» ، ثم أفردت فى كتاب، وذلك عمل ينطوى على جرأة كبيرة من المؤلف والناشر ، لأن الرسالة صودرت عقب تداولها . وأول كتاب أصدره فى مصر هو كتابه « مصادر التاريخ الإسلامى » الذى صودر بمرسوم ملكى من جلالة الملك فؤاد، وهو آخر مرسوم صدر من جلالته قبل وفاته .

ومن هنا يعرف أن حياته الأدبية كانت قصيرة إلا أنها كانت ملأى بنشاط جدير بالإكبار والتقدير ، فقد كان يعتكف الأيام المتوالية حتى ينتهى من وضع كتاب، أو إخراج بحث، أو يستوعب عدة مؤلفات قراءة ودراسة ؛ ومن نتاج ذلك الاعتكاف كتابه « الأنساب العربية » ، وكتابه « الزهاوى الشاعر » . وقد اهتم الأستاذ سامى الكيالى صاحب مجلة «الحديث» السورية بدراسات أدهم فرحب بها وأصدر بها أعداداً ممتازة، كدراسته للدكتور طه حسين ، والشاعر التركى عبد الحق حامد ، وأخيراً الأستاذ توفيق الحكيم ، ومن أظرف ما روى بهذه المناسبة أنه كان مختلفاً مع صاحب الترجمة على مولده، إذ كان توفيق الحكيم يذكر أن مولده فى عام ١٨٩٨ ، ولكن أدهم يصر على أنه ولد فى عام ١٩٠٣ ؛ ومما يدهش القارئ إيراد أدهم لأدلة منطقية لا يملك الإنسان معها إلا أن يسلم بخطأ توفيق الحكيم نفسه فى معرفة مولده

وكانت إدارة « الحديث » تستعد لإخراج عدد خاص بدراسته لميخائيل نعيمة ، كما كانت تستعد إدارة المقتطف لإخراج دراسته لخليل مطران لتهديها إلى مشتركيها هذا العام ، ولا أدرى ماذا تم فيها، وإن كنت أعرف أن المؤلف كان يستعجلها فى إخراج كتابه قبل وفاته، لأنه كان يريد أخذ نسخة معه إلى أوربا ، إذ كان يعتزم السفر بعد تغير الموقف الدولى ؛ واشتدت الرقابة عليه لشبهات لا محل لها من الصحة ، إذ أنه كان فى أيام السلم يرسل بعض أبحاثه لتذاع من محطة بارى العربية ، كما أنه كان ينشر بعض أبحاثه فى مجلة (المستشرقين الألمانية) منها نقده لكتاب حياة محمد، وقد أشار إلى ذلك النقد الدكتور هيكل فى مقدمة الطبعة الثانية من كتابه بعد أن أغفل اسمه .

ولما لم يتمكن من السفر والهروب من قفص الرقابة ضاقت به الحياة فودعها ومضى

(لنا عودة) عبد الحفيظ نصار

لصورة عرضت ؛ وتخيلته يحف به فتيات يسألنه ويجيب وفى عيونهن معان وفى عينيه معنى ؛ ولذعتها نار الغيرة وساورها القلق ، وراحت تسأل نفسها : أتُراه - وهو من هو - لم يفتح قلبه لفتاة قبلها ولن يفتحه ؟ فكيف ، ومن أين لها ، وإن اسمه لحديث على الشفاه ونجوى فى القلوب ! ... أم تراه يخلص لها فلا يغلبها على قلبه أحد ؟

وابيضت ذُؤابة الليل وما تزال أحلام اليقظة تُراوح بين جنبيها فى الفراش !

* * *

ومضت ليال ، وأنست رشيدة إلى فتاها وأنس بها ؛ وتتابع اللقاء بينهما فى الحلم حيناً وفى اليقظة ؛ وتكاشفا نفساً لنفس فاطمأنت وزال ما كان يساورها من هم ، واسترسلت فى أحلام السعادة والمجد ، وهى تحصى ما بقى من أيامها حتى يكون لها

وجاء اليوم الموعود وزُفت رشيدة إلى سامى ...

* * *

« يا هناها ! »

ذاك حديث كل صواحبها ؛ أفتراها كانت تسمع ما يتحدثن؟

أما هو فكان من شأنه فى شغل عما يتحدث الناس ؛ لقد وجد الاستقرار والراحة منذ وجد رشيدة ؛ فانصرف إلى غايته دائباً لا يشغله من شئون الحياة إلا فنه والأمل الذى يتنوره على مبعدة

وأما هى ... أين هى من أحلامها التى كانت تداعبها فى اليقظة وتُلم بها فى المنام ؟

هذا عام مضى منذ دخل سامى فى حياتها وشاركته فى داره ؛ فماذا تحقق من أمانيها وماذا بقى ؟ وماذا يجدى عليها صيته ومجده وشهرته وإنها لحبيسة الدار لا تتحدث إلى أحد ولا يتحدث إليها أحد ؛ وزوجها الذى خلق لها دنيا عريضة من الأوهام والأمانى حبيس فى غرفته مكب على أوراقه ودفاتره !

هذه الصحف التى تتحدث عنه ، وهذه الكتب التى تصدر باسمه ، وهذه الجماعات التى تدعو دعوته وتُشيد به ... كل هذه أوهام وخداع وتلبيس على الحقيقة . لقد حسبت يوماً أنها ستكون أسعد زوجة فيمن تعرف من صواحبها ؛ لأن هذه الأوهام المكتوبة كانت تُخيل لها وتخدعها عن الحقيقة ؛ أما اليوم ، وا أسفا !

إنه ليحبها وإنها ... نعم ، لقد كانت تحبه ؛ ما فى ذلك شك ؛ أما اليوم ... آه ! ليتها تستطيع أن تقول ... ليتها تستطيع أن تعرف ...!

إنها لتحس فى بعض الأحايين أنها تكرهه ، شوقاً إليه !...

ليت شعرى ، ما الحب ؟ وما البغض ؟ ... أهما معنيان متناقضان أم هما اسمان لمعنى ؟

وما الحقيقة ؟ أهى شىء واحد أم شيئان ، ولون واحد أم ألوان ؟

إنه هو هو ، وإنها هى هى ؛ لم يتغير شىء منها ولم يتغير شىء منه ؛ ولم يزل هو كل شىء فى حياتها ولم تزل ؛ وهذه الأشياء التى كانت تحببه إليها يوماً هى هى التى تبغضه إليها اليوم

إن الباطل الصُّراح أحب إلى النفس من الحقيقة المتلونة !

* * *

واحتوشتها الأفكار فلم تعرف ماذا تأخذ وماذا تدع ؛ فأطرقت ، وأرسلت عينيها ؛ وكان سامى فى غرفته يكتب ويؤلف !

... وفرغ من موضوعه بعد هدأة من الليل ، فرفع أوراقه بين عينيه والمصباح وراح يقرأ ، وأعجبه عمله ؛ فهتف : رشيدة ، تعالى اسمعى !

وماذا يجدى عليه رضا الناس إن لم ترض رشيدة ؟ ولكن رشيدة كانت مطوية على نفسها فى الفراش تبكى ؛ ودنا منها ، فجففت دموعها واعتلت ؛ وجلس على حافة الفراش محزوناً أسوان يسألها عن علتها ؛ وما كانت علتها غيره !

وطوى أوراقه صامتاً ، وأوى إلى الفراش منكسراً ذليلاً ؛ وأصبح كما يصبح كل يوم ، وكما أمسى ؛ وأصبحت كما أمست !

* * *

وجاءت صديقتها « سعاد » لزيارتها ؛ وما زارتها فى بيت زوجها قط ؛ وخلت رشيدة إلى صديقة صباها تحدثها وتستمع إليها ، وخلا سامى إلى نفسه يعمل ...

وقالت سعاد : وإنى لأسمع عنك وأعرف ، فيسرنى هناؤك ... وإنك لحقيقة أن تسعدى بسامى ... !

وابتسمت رشيدة وسكتت !

ونهضت الزائرة فشيعتها صديقتها على ميعاد

وذهبت رشيدة لترد الزيارة لصاحبتها ؛ ولقيتها سعاد فى غلائل وشفوف وجلوة عروس ؛ وأحسنت استقبالها ؛

ثم وَدَعَتها لحظة لتِسرّ إلى زوجها حديثاً وعادت ، وأحست رشيدة أن صديقتها فى شغل ؛ فأوجزت ، وسألتها : أرجو ألا يكون في زيارتى ما يشغلك عن شىء !

وابتسمت سعاد وأجابت : ليس شيئاً ذا بال ؛ كنا على أن نشاهد رواية فى السيما ، فطلبتُ إليه أن يذهب وحده إذا أراد ! لقد شاهدناها مرة منذ يومين !

وغمغمت رشيدة بكلام ، ثم أطرقت ؛ أتراها كانت تحدّث نفسها أم تحدّث مُضيفتها ، وماذا همّت أن تقول ؟

وخفّفت فنهضت ، وفى قلبها حسرة ، وفى صدرها غيرة ، وفى رأسها فكر !

وقالت سعاد لزوجها وقد ذهبت رشيدة : « زوجة سامى ! »

واستطردت : « إنها صديقتى منذ الطفولة ! ألا تقرأ له ؟ قل لى : لماذا لا تحاول أنت . . . ؟ إن له مستقبلاً عظيما ! لقد بَلغ . . . هل سمعْت . . . وله جاهٌ وشفاعة . . . إننى ورشيدة صديقتان ، لم نفترق منذ كنا ، حتى تزوّجت ، وخطبَها على غفلة . . . ! »

* * *

. . . وأدارت رشيدةُ مفتاح المذياع وجلست مرتفقةً إليه تنتظر ؛ إن زوجها هناك ؛ وما بها شوق إلى أن تستمع إليه ، لولا أن صوته فى المذياع يردُّها لحظاتٍ إلى ماضيها ، أيام كانت فى بيت أبيها مُسمّاة عليه ؛ تلك أيامٌ خلَت ؛ وكان صوته يلذها ويبعث فيها نشوة . . . أوه ! أين اليقظة من الحلم ؟ أكُتِبَ علينا ألا نرى السعادة إلا طيفاً فى المنام أو حُلماً فى اليقظة ؟

وتسرّحت رشيدةُ فى أوهامها . . .

. . . وكأنما أحسّ سامى من رشيدة فتوراً وانقباضاً ، فأهمّه ما أحسّ ، وراح يحاول أن يصلح ما بينه وبينها ، وعطف عليها يسألها فى رقة : ماذا بك يا رشيدة ؟

وانفجرت رشيدة غاضبة صاخبة ، وكشفت الحجاب ، ونفضت عليه ما تكظم من الغيظ منذ عام ؛ وطأطأ رأسه يوازن ويقدّر ويحكم ؛ وبدت له الحقيقة سافرة وانكشف عنها غطاؤها ؛ وآثرها بالرّضا فقدّم لها معاذيرَه !

وتغيّر سامى منذ اليوم ، فأغلق دار كتبه وأقبل على زوجته ؛ وفى المساء كانا يمشيان ذراعاً إلى ذراع فى الطريق على أعين الناس ؛ وصحبها إلى السيما ، وسهرا معاً فى الأوبرا ، وتمشّى معها فى مطعم ؛ وراقصها على نغمات الموسيقى فى الحديقة ، وعاد معها إلى الدار مخموراً قبيل الصباح !

وعرف سامى منذ الليلة أن فى الحياة ألواناً من اللذة لم يذقها بعدُ وقد أوشك شبابُه ؛ فاشتهى وتمنّى . . .

وفاءت رشيدةُ إلى الرضا وسرّتها حياتها الجديدة فطلبت المزيد !

* * *

وكانا يمشيان على ضفاف النيل حين اعترض سبيلهما سربٌ من الحسان . وقالت إحداهنّ وأومأت إلى سامى : أتنه كهُو ! فأحنى رأسه مبتسما وأتبعها عينيه ؛ وأغضت زوجتُه !

ولم تجد رشيدة من نفسها فى الليلة التالية رغبة فى الخروج ؛ فخلفها فى الدار ومضى وحده ؛ وأشرقت الشمس قبل أن يعود ، وهمّت زوجته أن تتكلم فتركها وما تريد ومضى إلى فراشه . . .

وعرف عنوانَه من لم يكن يعرف من عشاق أدبه ؛ فكثر زائروه وزائراته ؛ وراح يقتضى الناسَ ثمنَ إعجابهم بفنه لذائذَ وشهوات . . .

وتدحرجت الكرةُ على المنحدر المائل واستمرت تهوى . . .

. . . وجاءت سعاد لتزور صديقتها ، وقالت : أين سامى ؟ منذ بعيد لم نسمع ولم نقرأ . . . !

وابتسمت رشيدةُ وسكتت ؛ شأنها فى يوم مضى ؛ ثم أطرقت وعضت على شفتيها تحاول أن تحبس زفرة ألم !

ونهضت الزائرة وخلت رشيدة إلى نفسها تبكى ؛ وخيّلت لها أمانيها أنه هناك ، فى غرفته ، يكتب ويؤلف ، وأنه يوشك أن يفرغ من موضوعه فيهتف بها : رشيدة ! تعالى اسمعى ! كما كان فى ليلة منذ ليال ! . . . ولكنه لم يفعل ، لأنه ليس هناك !

. . . .

* * *

. . . ثم استيقظت وهى مرتفقة إلى المذياع ، ورنّ صوته فى مسمعيها قادماً من بعيد ، صوت ندى رطب ، يتحدث فى وداعة ولين . لم يكن حديثه إليها ، ولكنها وجدت بَرْدَه على قلبها ، فدمعت عيناها فرحانة ؛ وهتفت : سامى ! عُدْ إلىّ !

ولم يسمع نداءها ، ولكن خاتمة حديثه فى المذياع كان جواب النداء . . .

محمد سعيد العريان

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }